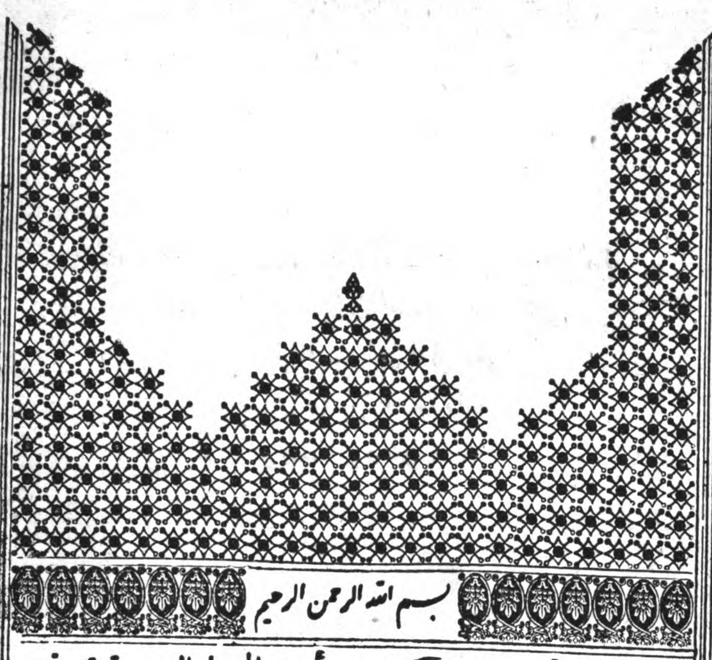
305

Ibn-abi-Hajalah, Ahmad ibn-Yahya

Sukkardān al-sulṭān

كتاب سكردان السلطان تأليف الشيخ الامام العالم
العارف شهاب الدين بن العباس أحمد بن يحيى
ابن أبي بكر الشهير بابن حجلة المغربي
التلمساني الحنفي تغمده الله
برحمته ورضوانه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنطق الطير بحكمته * وأجرى البحار السبعة بقدرته * وجعل مولانا السلطان سابع من جلس على سرير الملك من اخوته * فرعى الله عز وجل فى رعيته * وأصبح أعدل الابدال بعد اخوته النجباء لما انتشر فى الآفاق من حسن طويته * وترك عدو الدين المخذول مشغولا بهمه لعلو همته * وأهلك كل ذى هوى بريح صرصر من صرير أقلامه واسرته * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد * المبدئ المعيد * الفعال لما يريد * مقرب البعيد * وخالق العبد والسيد * فنهم شقى وسعيد * شهادة تسوق قائلها الى الجنة يوم تأتى كل نفس معها سائق وشهيد * وتحاج عنه الملكين اذا سألاه فى قبره وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أرسله على حين فتره * وتولى يوم الاحزاب نصره * وأسمع الشرك من رقيق سيفه غليظ ما يكره * وكيف لا وقد أنفذ أمره * وعظم فيمن استشهد فى المسلمين أجره * وأنزل عليه السبع المثانى والقرآن العظيم على سبعة أحرف تبيانا وعبره *

وأسرى

وأسرى به الى السماء السابعة سابع ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد سبع مضين من البعثة وقيل قبل ست من الهجره * هذا بعد ان ولد صلى الله عليه وسلم سابع سنة خلت من ملك كسرى الملك العادل * فانكف به كف الظلم بين القبائل * وخضبت لمولده الشريف الثريا بنانها بخضاب شفق الاصائل * وتنصلت لهيبته من الاعداء المناصل * وعملت فى ديوان سره عمال العوامل * وأقام سيوفه فى حصاد أعمار المشركين مقام المناجل * فكان صلى الله عليه وسلم فى الفخر والعلا * أحق بقول أبى العلا

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل
فمن أجله السبع المثانى ثنيت * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
منا نحه سبع فلله درها * فكم رضعت ألبانهن الارامل
وأولاده سبع كذا صح عنهم * وفى نامن خلف حكته الافاضل
وحراسه سبع اذا جن ليله * حموه ولو أن الظلام جحافل
وضاهاه سبع فى محاسن وجهه * فأوجههم مثل البدور كوامل
ومدحى له فى عام سبع وهذه * بيوتى سبع فى الطويل طوائل
علوت بها فخرا ولم أشك فاقة * على اننى بين المساكين نازل

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كثروا فى الاحزاب زمره * وقفوا فى سبيل الخيرات أثره * وأصبحت أسفار وجوههم بأيدى سفره * فمنهم الكرام البرره * الذين بايعوه تحت الشجره * وأورقت غصون رماحهم بسقيا دم الكفرة الفجره * وبدا لهم من المشركين فى مرايا سيوفهم تحت العجاج وجوه يومئذ عليها غبره * رضى الله تعالى عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين * وألحق بهم من خلفهم من الخلفاء ومن تبعهم من التابعين * وحمى حمى هذه الشريعة الشريفة المحمدية بأسنة أقلام علمائنا العاملين * وأحيا مافيها من الموات ببقاء مولانا السلطان محيى العدل فى العالمين * السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين * أبى المحاسن

حسن صرف الله تعالى عامل سيوفه فى رقاب ذوى النفاق * وحرس غرفات قاعاته السبع بملائكة السبع الطباق * مادارت أيام الجمعة * وأشرقت فى لياليها من الثريا نجومها السبعة

آمين آمين لا أرضى بسابعة * حتى تضيف اليها ألف آمينا

(وبعد) فلما كانت السبعة من أشرف الاعداد * وكان وجودها بمصر المحروسة أكثر من سائر البلاد * ألفت منها فى هذا الكتاب سنة سبع وخمسين وسبعمائة مالم أسبق اليه * ولا عثر أحد فى الأقاليم السبعة عليه * وسيأتى مصداق هذا الكلام * ولا سيما عند ذكر قصة يوسف الصديق عليه السلام (وسميته) سكردان السلطان لاشتماله على أنواع مختلفة من جد وهزل * وولاية وعزل * ونصيحة ملوك * وآداب وسلوك * وسير وعبر وتغيير دول * واتصال ملل * وقطع طريق * وجر مجانيق * وأفعال مكرة * وأعمال سحرة * وبيان وتبيين * ومدح وتأبين * ويقظة ومنام * وبر وآثام * وقال وقيل * واهرام ونيل * وغرائب وعجائب * مما تلقفته من أفواه الشيوخ الاجله * ورويته عن كثرة وقله * وشاهدته بعين الحقيقه * والتقطته من التواريخ المعتمد عليها التقاط الزهر من الحديقه * وغير ذلك مما هو فى معنى رسالتى أسنى المقاصد * والسبع زهرات التى تجمع بمصر فى صعيد واحد * مما لا يحصى كثره * ولا يقال لمنكره عثره * هذا مع ما ينخرط فى سلك ذلك من حكايات باهره * وأحكام كانت للملوك المتقدمة بمصر والقاهره * فهو ولا سيما بذكر السبع زهرات تأليف ظريف * وحضرة تصلح للمقام الشريف * وقلت

اى والربيع النضير * وزهره المستنير
من نرجس واقاح * كأعين وثغور
ومن شقيق كسنا * قد أقبلت فى حرير
وياسمين كلون الـ * ـمتيم المهجور
وطيب نشر عبير الـ * ـبنفسج الممطور

والآس

والآس شبه عذار * بخط ظبي غرير
والورد أقبل في جيش * حسنه المنصور

(وترتيبه) على مقدمة وسبعة أبواب وتتيجة (أما المقدمة) ففي ذكر نبذة مما وقع في اقليم مصر من هذا العدد على طريق الاجمال * وأما الابواب (فالباب الاول) في ذكر خاصية هذا العدد وشرفه ومزيته على غيره من الاعداد (الباب الثاني) في بيان ما لمولانا السلطان بهذا العدد من العلاقة وما بينهما من النسبة والسر المقتضي لنصره ودوام ملكه (الباب الثالث) في حد اقليم مصر الذي وقع فيه هذا العدد وذكر نبذة من أخباره وأخبار القاهرة والنيل وما جرى مجراه (الباب الرابع) في بيان كون مولانا السلطان أعزه الله تعالى سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وذكر من ولي الملك من الترك من اول دولتهم الى يومنا هذا مختصرا (الباب الخامس) في ذكر طرف يسير من سيرة مولانا السلطان نصره الله وسيرة اخوته وأبيه وعميه الاشرف والصالح وجده الملك المنصور (الباب السادس) في ذكر اتفاقات غريبة وأشياء عجيبة اتفقت لمولانا السلطان ولبعض اخوته وأبيه وعميه الاشرف والصالح وجده المنصور ولم يسمع بأغرب منها ولم يسبقني أحد الى التنبيه عليها على هذا الوجه (الباب السابع) في تفسير بعض ما أودعته خطبة هذا الكتاب والباب الخامس منه من الآثار النبوية والنكت الادبية على سبيل الاختصار (وأما النتيجة) التي مدار هذا الكتاب عليها وعين عنوانه ناظرة اليها ففي بسط الكلام على ما تقدم ذكره في المقدمة من هذا العدد وتفصيل مجمله وايضاح مشكله ويشتمل ذلك أيضا على سبعة أبواب (الباب الاول) في ذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام وبسط الكلام على ما وقع فيهما من هذا العدد (الباب الثاني) في بسط الكلام على ما وقع في ذلك من قصة موسى وفرعون (الباب الثالث) في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سير الملوك السالفة بمصر وذكر ما كان لبعضهم من الأحوال العجيبة في السحر وغيره مختصرا (الباب الرابع) في بسط الكلام على ما وقع من ذلك في سيرة الحاكم أحد الخلفاء

الفاطميين بمصر وذكر طرف يسير من اموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشريعة (الباب الخامس) فى بسط الكلام على ماوقع من ذلك من الحوادث الواقعة بمصر ومافى معناها (الباب السادس) فى بسط الكلام على ماوقع فى القاهرة وضواحيها والاهرام ونواحيها من اقليم مصر (الباب السابع) فى ذكر السبع زهرات التى تجتمع بمصر فى صعيد واحد وذكر ماقيل فيها من منظوم ومنثور وغير ذلك واذكر عقيب كل باب من هذه الابواب السبعة والابواب التى قبلها سبع حكايات وسميتها خاتمة الباب * وسجع طائره المستطاب * ليصبح بها كل باب حسنا فى بابه * مقبولا عند أربابه * ومن الله أستمد العناية فانه لاحول ولاقوة الابه * فهو حسبى ونعم الوكيل

المقدمة فى ذكر نبذة مما وقع فى اقليم مصر من هذا العدد على طريق الاجمال

(أقول) الذى سبرته وحررته من السير وكتب التفسير وغيرها ان سيدنا يوسف الصديق عليه السلام أقام عند عزيز مصر سبع سنين حتى بلغ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وكانت سبعة أبواب وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه الآية وكان صغيرا فى المهد وعمره سبعة أيام ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين فأقام فى السجن سبع سنين على قول الاكثرين ورأى الوليد بن الريان ملك مصر سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فقص ذلك على يوسف فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الاقليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الاقليلا مما تحصنون فأدناه الملك عند ذلك * وصرفه فى جميع الممالك * فكان يركب فى كل سبعة أيام الى الموكب فى سبعين ألفا وقيل فى مائة ألف من عظماء قوم فرعون وكان يوسف عليه السلام قد رأى الرؤيا الأولى وهو ابن سبع سنين وكانت اخوته احد عشر سبعة منهم من ليا بنت ليان وهى بنت خال يعقوب عليه السلام

وكان أبوه قد كتب اليه حين حبس أخاه بنيامين عنده على الصواع كتابا جاء
منه وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فارحم ترحم واردد على ولدى فان
فعلت فالله يجزيك وان لم تفعل دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
(أقول) ومثل هذا قوله تعالى وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا قال
علماء التفسير أراد به الجد السابع ولما ذهب يهوذا بالقميص والقاه على وجه
أبيه مشى ثمانين فرسخا فى سبعة أيام وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها
حتى وصل الى ابنه يوسف عليه السلام وسورة يوسف أصلها نيف وسبعة
الاف حرف * وفى هيت لك سبعة أقوال للمفسرين رحمة الله عليهم أجمعين
(قلت) ويوسف عليه السلام فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل
الا ظله لأنه دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب
العالمين * وسيأتى بسط الكلام على هذا جميعه عند ذكر قصته من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى * وكان آخر مناجاة موسى عليه السلام يارب أوصنى
قال أوصيك بأمك قاله سبع مرات * وحشر فرعون السحرة من المدائن
وكانت سبع مدائن وقال أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى
وكانت سبعة خلجان * وكان فرعون قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار * وخرج
موسى ببنى اسرائيل فى ستمائة الف وسبعين ألف مقاتل فخرج فرعون فى طلبه
وعلى مقدمة جيشه هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف مقاتل وكان فيهم
سبعون الف أدهم الخيل وقيل كان فرعون فى سبعة آلاف ألف وأرسل الله
عليه وعلى قومه الطوفان سبعة أيام والجراد سبعة أيام والقمل سبعة أيام
والضفادع سبعة أيام وسيأتى الكلام عليه * وملك مصر سبعة من السحرة
وكانت لهم الاعمال العجيبة الى الغاية وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى
ولبس الحاكم بمصر الصوف سبع سنين ومنع النساء من الخروج الى الطرقات
سبع سنين وسبعة أشهر * ووجد مقتولا فى سبع جباب وسيأتى ذكر أحكامه
القبيحة ولعنته الصريحة فى بابه (واتفق) ان بعض الامراء الاكابر بمصر
سأل جماعة من الفقهاء عن ليلة القدر فقال له بعضهم هى فى العشر الاواخر

من شهر رمضان فى ليلة السابع والعشرين منه وذكر ما رواه الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية بسنده فى كتاب العلم المنشور فى فضل الايام والشهور عن قتادة عن عاصم انهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا عمر رضى الله عنه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على انها فى العشر الاواخر من رمضان قال ابن عباس فقلت انى لاعلم او انى لاظن أى ليلة هى قال عمر وأى ليلة هى فقلت فى سابعة تبقى أو سابعة تمضى من العشر الاواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الدهر يدور على سبعة والطواف بالبيت الشريف سبع ورمى الجمار سبع وخلق الله ابن آدم من سبع ويأكل فى سبع قال فقال عمر لقد فطنت لامر ما فطنا له فلما فهم الامير المشار اليه مراده واستحسن ايراده أخذ فى سرد ما يحضره من هذا العدد حتى انتهى الى قوله والمعادن سبعة والالوان سبعة وأبواب جهنم اعاذنا الله منها سبعة والفاتحة وهى ام القرآن سبع آيات ولا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات فلما سكت قال له بعض الحاضرين من فقهاء العجم كالمستدرك عليه يا مولانا ورنك الملك الظاهر سبع فنظر الحاضرون اليه وانقلب المجلس ضحكا عليه * وفى القاهرة الآن انسان يعرف بابن سبع وفى هذه السنة التى هى سنة سبع وخمسين وسبعمائة كتب الى الشيخ الاديب جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصرى رسالة مطولة تشتمل على مقاطيع من جملتها قوله

يا امام التقى مضى نصف عام * لم يكن فيه من وصولى ربع
سنة ان غفلت عنى فيها * كسرتنى وكيف لا وهى سبع

(وقوله) ملغزا فيمن اسمها مليحة

تفترس الناس فى هواها * مالكة للقلوب تدعو
مليحة حجبت وشاعت * نحاب طرف وفاز سمع

عجيبة الاسم قيل خمس * وقيل ست وقيل سبع

فكتبت اليه الجواب عن قوله هذا من جملة رسالتى الموسومة برسالة الهدهد فقالت رجع القول فى وصف شرف السلطان الذى اشتمل على احراق قلب الحسود من تلويح وتصريح وأتت ألغازه من المذكر والمؤنث بكل مليحة ومليح فاطربت بأوتار سطورها السمع وقالت لافكار المتأدبين سيهزم الجمع واحجم عن الخوض فى شريعتها كل قائلا ومالى طاقة بلقاء سبع (ومن جملة هذه الرسالة) قولى أيضا فى مدرسة شيخون

ومدرسة للعلم فيها مواطن * فشيخونها فرد وايثارها جمع

لئن بات منها فى القلوب مهابة * فواقفها الليث واشياخها سبع

(وقلت أيضا) فى هذه السنة من جملة ما كتبته على الرسالة الموسومة بالدرة السنية والوسيلة النبوية انشاء السلطان أمير المؤمنين أبى عنان ملك الغرب

عريق له فى الملك مجد مؤثل * وبيت قديم فى الفخار قدامس

وآباؤه ممن حوى الملك قبله * لهم اول عالى المحل وسادس

فأسوابه كالسبعة الشهب فى السما * وخدامهم فيها الجوار الكوانس

ولله ما أنشأته من رسالة * بدرتها العقد النفيس تنافس

مدحت بها أعلى النبيين رتبة * اذا ارتفعت يوم المعاد المجالس

نبى علا السبع الطباق بنفسه * وما للعلا الا النفوس النفائس

لئن كنت فى الزلفا برؤياه طامعا * فما أنا من نيل الشفاعة آيس

عليه من البر السلام تحية * تضوع وانف الكفر بالرغم عاطس

وصلى عليه الله ماذكر اسمه * ولاح بوجه الارض رطب ويابس

وهذا القدر كاف فى هذا الموضع وسيأتى الكلام على السبع زهرات والتاج والسبع وجوه وغير ذلك ان شاء الله تعالى

الباب الاول

فى ذكر شرف هذا العدد وخاصيته ومزيته على غيره من الاعداد

(أقول) الكلام عليه من سبعة أوجه (أحدها) قال صاحب النسمات الفائحة وغيره من أرباب علم الرياضة السبعة اول الاعداد الكاملة لانها جمعت العدد كله لان العدد أزواج وأفراد فالازواج منها اول وثان فالاثنان أول الازواج والاربعة عدد ثان والثلاثة اول الافراد والخمسة فرد ثان فاذا جمعت الزوج الاول مع الفرد الثانى أو الفرد الاول مع الزوج الثانى كانت سبعة وهذه الخاصية لا توجد فى عدد قبل السبعة (الثانى) ما حكاه بعض المفسرين ان العرب تبالغ بالسبعة لان التعديل فى نصف العدد وهو خمسة اذا زيد عليه واحد كان لادنى المبالغة واذا زيد عليه اثنان كان لاقصى المبالغة ولا زيادة على ذلك (الثالث) قال الاستاذ أبو على الكفيف المالقى فى واو الثمانية انها لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم ان يقولوا اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة فهذه هى لغتهم ومتى جاء من كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو انتهى (أقول) وانما كان ذلك كذلك لان السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف ومنه قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فأثبت الواو بعد السبعة ولم يثبتها فيما تقدم من الاعداد واللغة الفصيحة التى أشار اليها هى لغة قريش فيما حكاه الثعلبى عن أبى بكر بن عياش (الرابع) قال ابن عطية فى تفسيره وقد جعل الله السبعمائة والسبعين والسبعة مواقف ونهايات لاشياء عظام فلذلك مشى العرب وغيرهم على ان يجعلوها نهايات انتهى (أقول) ويؤيد قوله هذا سبعة مواضع فى كتاب الله تعالى * أحدها قوله تعالى استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم على انه ليس المراد بذكر السبعين هنا حدا محدودا لوجود المغفرة بعدها وانما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد بدليل ما رواه مجاهد وقتادة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سوف استغفر لهم أكثر من سبعين مرة فأنزل الله عليه سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الآية * الثانى قوله تعالى

واختار

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قيل اختار اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فلما صاروا اثنين وسبعين قال ليتخلف منكم اثنان فتشاجروا فقال أجر من قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع بن نون (وروى) انه لم يصب الاستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشبان عشرة ليكمل بهم السبعين فاختارهم فأصبحوا شيوخا (قال) ابن اسحق اختارهم موسى عليه السلام ليستغفروا مما صنعوا وليسألوا الله تعالى التوبة على من تركوا وراءهم ممن عبد العجل * الثالث قوله تعالى ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين قيل السلسلة سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع منها كما بين رحبة الكوفة ومكة شرفها الله تعالى (وفى الحديث) لو أرسلت رضراضة يعنى صخرة بقدر رأس الجبل من السماء الى الارض لبلغتها قبل الليل ولو ارسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ وروى أن جميع أهل النار فيها وروى انها تدخل من دبر الكافر وتخرج من فيه وقيل من انفه (قال الزمخشرى) فى الكشاف فى قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينه والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل (وعن أبى الدرداء) رضى الله عنه انه كان يحرض امرأته على كثرة المرق لاجل المسكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها بالحض * الرابع والخامس قوله تعالى الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وقد اكثر الله سبحانه وتعالى من ذكر السموات والارض فى كتابه العزيز وذلك يدل على عظم شأنهما وعلى ان له سبحانه فيهما اسرارا عظيمة وحكما بالغة لا تصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم وقد جعل الله اديم السماء ملونا بهذا اللون الازرق لتنتفع بها الابصار الناظرة اليها لان فيه تقوية لها حتى ان الاطباء يأمرون

من أصابه وجع العين بالنظر الى الزرقة فهو تعالى جعل لونها أحسن الالوان وهو المستنير وجعل شكلها أحسن الاشكال وهو المستدير وقد زينها سبحانه وتعالى بسبعة أشياء بالمصابيح وبالقمر وبالشمس وبالعرش وبالكرسي وباللوح وبالقلم فهذه السبعة ثلاثة منها ظاهرة وأربعة منها خفية تثبت بالدلائل السمعية من الآيات والاخبار * السادس والسابع قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وجه استنباط السبعمائة من هذه الآية الكريمة ان الحبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فصارت الجملة سبعمائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (الخامس من أصل الباب) قال بعض المفسرين السبعة عدد مقنع لانها فى السموات والارض وفى خلق الانسان وفى رزقه وفى أعضائه التى بها يطيع الله وبها يعصيه وهى عيناه واذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه (وقال) الامام فخر الدين فى اسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة عن عضو من الاعضاء السبعة (السادس) قوله عليه السلام المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر فى سبعة أمعاء قال الامام فخر الدين الرازى فى هذا اشارة الى قلة الاكل وكثرته من غير ارادة السبعة بخصوصيتها ويقال ان لجهنم سبعة أبواب بهذا التفسير (أقول) ولاهل العلم الشريف فى هذا الحديث أقوال منها أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب هذا مثلا للزهادة فى الدنيا والحرص عليها فجعل المؤمن لقناعته باليسير من الدنيا كالآكل فى معى واحد والكافر لشدة رغبته فى الدنيا كالآكل فى سبعة امعاء قال أبو محمد السيد البطليوسى وهذا أصح الاقوال (السابع) ما ألهمنى الله تعالى اليه من استقراء حال هذا العدد وذلك ان حروفه الثلاثة هى س ب ع وما تصرف منها بتقديم بعضها على بعض وتأخيره يحتمل ست تركيبات خمسة منها مستعملة

فى كلام

فى كلام العرب وواحد مهمل والخمسة المستعملة وماتصرف منها لا تخلو من معنى القوة والعظمة بيان ذلك ان مادتها الاصلية (الاولى) س ب ع يقال سبعته أى شتمته ووقعت فيه وسبعت الذئاب الغنم أى افترستها وأكلتها والسبع والسبعة بضم الباء فيهما الاسد واللبوة ويجوز اسكان الباء فيهما قال الشاعر * لسان الفتى سبع عليه شداته

وجاء فى كلامهم أخذه أخذ سبعة بسكون الباء أى أخذ لبوة وانما قالوا أخذ سبعة ولم يقولوا أخذ سبع لان اللبوة انزق من الاسد (الثانية) مادة س ع ب السعابيب من الماء هو الصافى الجارى الذى فيه تمدد وقوة (الثالثة) مادة ب س ع مهملة لم تستعملها العرب ولا وضعت لها مثالا فيما أظن لانى كشفت عليها فى صحاح الجوهرى والمحكم لابن سيده فلم أر أحدا منهما ذكر لها مثالا ولا تعرض لها وهما ماهما (الرابعة) مادة ب ع س قال فى المحكم البلعس الناقة الضخمة (الخامسة) مادة ع ب س عبس قبيلة من قيس والعبوس الجمع الكثير ويوم عبوس وعابس أى شديد قال الله تعالى يوما عبوسا قطريرا والعوابس الذئاب القاعدة على اذنابها والعنبس الاسد (السادسة) مادة ع س ب عسيب اسم جبل قال امرؤ القيس

وانى مقيم ما أقام عسيب * واليعسوب ملك النحل وأميرها وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه هذا يعسوب قريش أى سيدها وكل رئيس قوم يسمى يعسوبا واليعسوب أيضا اسم فرس النبى صلى الله عليه وسلم واليعسوب أيضا غرة فى وجه الفرس مستطيلة تنقطع من قبل ان تساوى أعلى المنخرين واليعسوب أيضا طائر أعظم من الجراد طويل الذنب لايضم جناحيه اذا وقع على الارض يشبه به الخيل فى الضمر (أقول) واليعسوب أيضا نوع من الحجل وهو أعظمها فقد ظهر بهذا الاستقراء والعمل مزية هذا العدد على غيره وان القوة لا تنفك عنه حيث لزمت تصاريف حروفه ودارت معها حيثما دارت وهذه طريقة تسمى الاشتقاق الاكبر ولم يتعرض لذكرها من العلماء الا القليل كابن جنى فى الخصائص

قوله البلعس الخ فيه انه خرج عن مادة ب ع س الى مادة ب ل ع س والصواب ان يستشهد بالبعوس كصبور بمعنى الناقة الشائلة المنهوكة والجمع بعائس وبعاس كما فى القاموس اه مصححه

وابن الخباز فى شرح الايضاح لما تكلم على هذا الكلام وقد استقريت ماوقفت عليه من كتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك فلم أرعددا مذكورا دائرا على الالسنة أكثر من هذا العدد ومن تصدى لذلك علم صحة ماقلته ومعلوم ان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وان من أحب شيأ أكثر من ذكره

(خاتمة الباب وتجمع طائره المستطاب)

أولها أقول قد تقدم ان اليعسوب هو ذكر الحجل ومن غريب مايحكى عنه ماحكاه أبو حيان التوحيدى فى كتاب الامتاع والمؤانسة ان الحجل تأتى اعشاش نظرائها من الحجل وتأخذ من بيضها وتحضنه فاذا تحركت الفراخ وصار لها قوة على الطيران طارت ولحقت بامهاتها التى باضتها وهذا من العجائب (وحكى الزمخشرى) فى ربيع الابرار ان الحجلة تكون فى سفالة الريح واليعسوب فى علاوتها فتلقح كما تلقح النخلة من الفحال بالريح * ثانيها حكى القاضى شمس الدين بن خلكان فى تاريخه والشيخ شمس الدين الذهبى فى كتابه تاريخ الاسلام فى ترجمة العماد الكاتب ان العقاب ليس فيه ذكر وان الذى يسافده حيوان آخر من غير جنسه قيل الثعلب أوغيره وفى ذلك يقول ابن عنين يهجوا

ماأنت الا كالعقاب فأمه * معلومة وله أب مجهول

ثالثها حكى الامام الحافظ شمس الدين الذهبى فى كتابه تاريخ الاسلام أيضا انه ورد كتاب الى القاهرة من السلطان محمود بن سبكتكين فى سنة أربع عشرة وأربعمائة يذكر فيه انه أوغل فى بلاد الهند حتى جاء الى قلعة فيها ستمائة صنم قال وأتيت الى قلعة ليس لها فى الدنيا نظير وما الظن بقلعة تسع خمسمائة فيل وعشرين ألف دابة وتقوم لهؤلاء بالعلوفة وأعان الله تعالى حتى طلبوا الامان فأمنت ملكهم وأقررته على ولايته بخراج ضرب عليه وانفذ هدايا كثيرة من جملتها طائر على شكل القمرى اذا حضر على الخوان وكان فيه شئ من السم دمعت عيناه وجرى منهاماء وتحجر فيحك ويطلى بما تحلل منه الجرح

فيبرأ

فيبرأ على الفور ويلتحم وهذا من العجائب * رابعها حكى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني فى كتابه الجليس والانيس عن محمد بن مسلم السعدى قال توجهت الى يحيى بن أكثم يوما فصرت اليه فاذا عن يمينه قمطرة مجلدة فجلست فقال افتح هذه القمطرة ففتحتها فاذا شئ قد خرج منها رأسه رأس انسان ومن سرته الى أسفله زاغ فى صدره سلعتان فكبرت وهللت وفزعت ويحيى يضحك فقال لى بلسان فصيح طلق ذلق

أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه
احب الراح والريحا * ن والنشوة والقهوه
فلا عدوى بذى يخشى * ولا يحذر لى سطوه
ولى أشياء تستظر * ف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة فى الظهـ * ـر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الاخرى * فلو كان لها عروه
لما شك جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهل أنشدنى شعرا غزلا فقال لى يحيى قد أنشدك فانشده فانشدت

أغرك ان اذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
واكثرت حتى قلت لست بصارمى * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فصاح زاغ زاغ زاغ ثلاث مرات ثم طار وسقط فى القمطرة فقلت ليحيى أعز الله القاضى أو عاشق أيضا فضحك فقلت أيها القاضى ما هذا فقال هو ما ترى وجه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين وما رآه بعد وكتب معه كتابا لم أفضضه وأظن انه ذكر فيه شأنه وحاله * خامسها حكى الثعالبى فى كتاب العرائس ان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى أحدكم الشراب فى كاسه فينقر الارض فيعرف موضع الماء فتستخرجه الشياطين قال سعيد بن جبير حين ذكر ابن عباس رضى الله عنهما هذا الحديث قال له نافع الازرق أرأيت قولك الهدهد ينقر الارض فيبصر الماء أيبصره ولا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال ابن عباس ويحك اذا نزل القضاء عمى البصر (أقول)

وقريب من هذا ما حكاه أبو الهيثم ان الغراب يبصر من تحت الارض بقدر منقاره قال ابن الاعرابى وانما سمت العرب الغراب أعور لانه يغمض أبدا احدى عينيه مقتصرا على الاخرى من قوة بصره قال بشار بن برد

وقد ظلموه حين سموه سيدا * كما ظلم الناس الغراب باعورا

وقد ظرف بعضهم ولطف حيث قال

والاعور الممقوت مع بغضه * خير من الاعمى على كل حال

سادسها حكى أن فى بحر المغرب من جهة الاندلس جبلا منقورا وفيه كنيسة مشروط على من بها من الرهبان ضيافة الزوار وتعرف بكنيسة الغراب لان فى أعلاها قبة كبيرة وعليها غراب لا يبرح ولا يعلم من أين يأكل فاذا قدم زائر واحدا وأكثر أدخل الغراب رأسه فى روزنة بأعلى القبة وصاح بعددهم فاذا كان الزائر واحدا صاح واحدة وان كان الزوار سبعة صاح سبع مرات وان كانوا أكثر من ذلك صاح بعددهم وهذا من العجائب سابعها جبل الطير بصعيد مصر الادنى مطل على النيل وفيه أعجوبة لم ير مثلها فى سائر الاقاليم وهى باقية الى يومنا هذا وذلك انه اذا كان آخر فصل الربيع قدم اليه فى يوم معلوم طيور كثيرة بلق سود الاعناق مطوقات الحواصل سود أطراف الاجنحة فى زعاقها بحاحة يقال لها طير البح لها صياح يسد الآفاق فتقصد مكانا فى ذلك الجبل فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقاره فى مكان مخصوص فى شعب الجبل عال لا يمكن الوصول اليه فان علق تفرقت الطيور عنه وان لم يعلق تقدم غيره وضرب بمنقاره فى ذلك الموضع وهكذا واحدا بعد واحد حتى يعلق منهم واحد فيبقى معلقا بمنقاره فتتفرق عنه الطيور حينئذ وتذهب الى حيث جاءت فلا يزال معلقا بمنقاره الى ان يموت فيضمحل فى العام القابل و يسقط فتأتى الطيور على عادتها فى السنة القابلة فتعمل العمل المذكور وقد اخبرنى بهذا غير واحد من المصريين ممن شاهد ذلك وهذا مشهور معروف بمصر الى يومنا هذا (وحكى) بعضهم انه رأى فى بعض السنين طيرا تعلق بمنقاره وتفرقت عنه الطيور

ثم اضطرب اضطرابا شديدا واطلق نفسه والتحق بالطيور فدارت عليه
وجعلت تنقره بمناقيرها الى ان عاد وتعلق بمنقاره فى ذلك الموضع وهذا
من العجائب التى لم يسمع بمثلها ولا بأغرب منها * وأما حديث الرخ
والعنقاء وغير ذلك فقد ذكرته فى كتابى غرائب العجائب وعجائب الغرائب

الباب الثانى

فى بيان مالمولانا السلطان أعز الله تعالى انصاره بهذا العدد من العلاقة وما بينهما من المناسبة والسر المقتضى لنصره ودوام ملكه

وذلك من سبعة أوجه (اولها) انه أعز الله أنصاره وادام علوه واقتداره
سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وسيأتى بيان ذلك فى الباب الرابع
ان شاء الله تعالى (الثانى) انه وافق والده السلطان الملك الناصر الشهيد فى
سبعة أشياء منها ماهو غريب الى الغاية وسيأتى ذكرها فى الباب السادس
(الثالث) ان الله تعالى خص اقليم مملكته من هذا العدد بمالم يخص به اقليما
غيره لما تقدم ذكره فى المقدمة ولما يأتى ذكره فى بقية الابواب من هذا الكتاب
(الرابع) ان له بانقضاء هذه السنة المباركة التى هى سنة سبع وخمسين
وسبعمائة تسبع سنين فى الملك (الخامس) ان قاعاته المحروسة سبع
قاعات متواليات بقلعة الجبل المحروسة (السادس والسابع) انه داخل
تحت قوله عليه السلام سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله الحديث
لانه امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى فلما وافق هذا العدد المذكور
من الوجوه السبعة وكان أعنى هذا العدد السابع عند أهل علم الفلك من
الاوتاد الثابتة دل ذلك على ثبات مملكته ودمار عدوه وهلكته وعظم
شانه وقوة سلطانه وتشييد أركانه ونصره على اعدائه لان التصريف
الذى يكون من السين والباء والعين شديد الامر من ذلك السبع والعبوس
والعنبس والعنابس والعسيب واليعسوب والسعابيب ونحو هذا من
القول وانما قيل للاسد سبع لان قوته ضوعفت سبع مرات وقد تقدم

من الكلام على هذا ما فيه كفاية وهذا القدر كاف هنا

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) أقول هذا الذى ذكرته هنا على سبيل الفأل بدوام أيام مولانا السلطان لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل قال عليه السلام لاعدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل * وروى عنه عليه السلام انه لما قدم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل غلمانه ياسالم يايسار فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الديار فى يسر وما أحسن قول أبى العلاء المعرى

سألن فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

وقوله أيضا

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فالا

(ثانيها) اتفق أنها تساقطت النجوم فى ايام أحمد بن طولون فراعه ذلك واحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم ما عندهم فى ذلك فما أجابوا بشىء فدخل عليه الجمل الشاعر وهم فى الحديث فانشده فى الحال

قالوا تساقطت النجو * م لحادث فظ عسير
فأجبت عند مقالهم * بجواب محتنك خبير
هذى النجوم الساقطا * ت نجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون رحمه الله بقوله واستبشر وأمر له بصلة مرضية وخلعة سنية وقال للجماعة أف لكم ما فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا * أقول وكان هذا الجمل صاحب نادرة ورآه صديق له يأكل سمنا فقال له يا أبا عبد الله لا تأكل السمن لانه سم زيدت فيه النون فقال وينبغى لك ان تأكل الحية لانها حياة سقطت منها الالف (ثالثها) حكى أن طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سها واسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقام شاعر وأنشده

هذا تبدد شملهم لاغيره * وذهابه منا ذهاب الهم

شيءٌ يكون الهم نصف حروفه * لاخير في امساكه في الكرم

فقابل بقوله واحسن جائزته (رابعها) حكي أن رجلا دخل على كافور الاخشيد صاحب مصر قد عاله وقال في دعائه أدام الله أيام مولانا بكسر الميم من ايام فتحدث الناس والجماعة الحاضرون في ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس فأنشده مرتجلا

لاغرو أن لحن الداعي لسيدنا * أو غص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لاعن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفأل نوثره عن سيد البشر
بأن ايامه خفض بلا نصب * وأن أوقاته صفو بلا كدر

(خامسها) حكى أبو مسعود قال قال لي أبو داود المسيحي ما اسمك قلت سعد فقال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود فقال مثلك مثل اعرابي سأل آخر فقال ما اسمك قال فياض فقال ابن من قال ابن الفرات فقال أبو من قال أبو بحر فقال ليس ينبغي لنا ان نلقاك الا في زورق والا نغرق والعلم المشهور في هذا الباب ما رواه مالك بن أنس رضي الله عنه في الموطا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب بن حرقة فقال ممن قال من أهل حرة النار فقال واين مسكنك فقال بذات لظى فقال ادرك أهلك فقد احترقوا فكان الامر كما قال عمر رضي الله عنه (سادسها) حكي أن شهاب الدين القوصي كان يوما عند الملك الأشرف فدخل عليه سعد الدين الحكيم وكان بينهما وحشة فقال له الاشرف ما تقول يا شهاب الدين في سعد الدين فقال يا خوند ان كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفي الخيام عند الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى سعد الذابح فضحك السلطان وأعجبه كلامه وعلم ان بينهما وحشة فاصلح بينهما وأمر لكل منهما بتشريف وعلى ذكر سعد الاخبية قلت أنا وقد اقتضت الحالة ذلك

دع عنك مصر فأهلها بعد الوفا * ألفوا الجفا وتحجبوا فى الابنيه
قلبت بها الاعيان حتى انى * عاينت سعد الدين سعد الاخبيه

(سابعها) حكى ان ابن الرومى كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقرار القرائن الحسنة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فاتفق انه بعث اليه بعض أصحابه فى يوم من الايام غلاما مليح الوجه حسن الاسم طيب الرائحة فلما طرق الباب عليه خرج اليه فسأله فى الحضور الى سيده فسمع كلامه وشم طيبه ورأى وجهه المليح فقال حسن من حسن فأجابه الى سؤاله فلما خرج معه رأى دكان خياط على رأس الدرب وقد صلب درّابتى الباب وهو يأكل تمرا فقال ان الدرابتين (لا) والتمر (تمر) فالفال قد قال لا تمر فدخل واغلق الباب وقال والله لامررت معك وله فى هذا الباب حكايات عجيبة كثيرة والجنون فنون

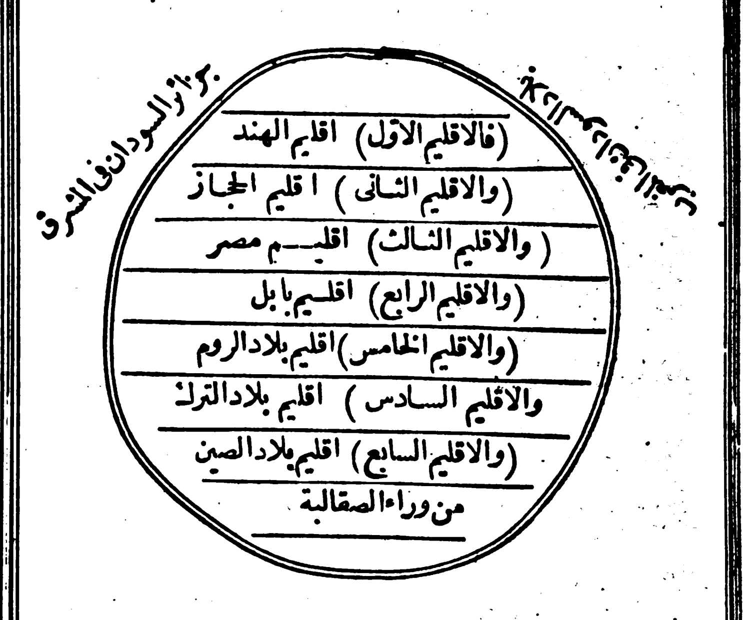
الباب الثالث

فى ذكر حد اقليم مصر الذى وقع فيه هذا العدد وذكر نبذة من اخباره واخبار القاهرة ومصر والنيل السعيد وما يجرى مجراه على سبيل الاختصار

(أقول) حد اقليم مصر من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش الى اسوان طولا وعرضا من برقة الى ايلة وهى مسيرة أربعين ليلة ثلاثون ليلة طولا وعشر ليال عرضا وقريب من هذا الحد ما حكاه بعضهم أيضا ان حد اقليم مصر من بحر الروم للاسكندرية وقيل من برقة الى البر وينتهى الى ظهر الواحات السبع ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة من حد اسوان على أرض البجا فى قبلى اسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويتجاوزه الى طور سيناء ثم يعطف على تيه بنى اسرائيل مارّا الى بحر الروم فى الحفائر وراء العريش ورفح ويرجع على الساحل مارّا على بحر الروم الى الاسكندرية فيتصل بالحد الذى قدمت ذكره من نواحى برقه وهو اقليم عظيم سكنته الجبابرة مثل مصعب بن الوليد والوليد

ابن

ابن مصعب وفرعون موسى وفرعون يوسف وموقعه من الاقاليم السبعة الوسط الثالث * وهذه صفة كرة الارض وموقعها منها كما تراه فى هذه الدائرة التى تراها والله تعالى أعلم



(فالاقليم الثالث) الذى من جملته اقليم مصر مبدؤه من الشرق فيمر على شمال بلاد الصين ثم الهند ثم السند ثم كابل وكرمان وسجستان وفارس والاهواز والعراقين والشأم ومصر والاسكندرية وفيه من البلاد المعروفة عرقة وكابل وسجستان واصبهان وبست وكرمان ومن فارس اصطخر وجور وسابور وسيراف وكورالاهواز كلها ومن الشأم حمص ودمشق وصور وعكا وطبرية وقيسارية وارسوف والرملة وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين ثم يقطع أسفل مصر ويمر على تنيس ودمياط والفسطاط والفيوم ومن المغرب برقة وافريقية والقيروان وقبائل العرب والسوس وبلاد طنجة وسبتة

وينتهى الى البحر المحيط وطول وسطه من المشرق الى المغرب ثمانمائة
ألف وسبعمائة وأربعة وسبعون ميلا وثلاث وعشرون دقيقة وعرضه
ثلثمائة وثمانية وأربعون ميلا وخمس وأربعون دقيقة وهوفى قول الفرس
للمريخ وفى قول الروم لعطارد وله من البروج الحمل والعقرب * وفتحت
مصر كلها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص
ولما فتحها أتى اليه أهلها وقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى
الا بها فقال لهم وماذاك فقالوا له اذا كان ثنتا عشرة ليلة تخلو من شهر
بؤنة من شهور القبط عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها
وحملنا عليها من الثياب والحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل
فقال لهم عمرو هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا
بؤنة وأبيب ومسرى وهى أسماء ثلاثة أشهر للقبط لا يجرى النيل فيها الا قليلا
ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك
الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فكتب عمر بن
الخطاب بطاقة وكتب الى عمرو بن العاص انى كتبت اليك بطاقة فألقها
فى النيل فأخذها عمرو فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان
كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان
يجريك والقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ الناس من
مصر للجلاء أى الرحيل فلما ألقى البطاقة فى النيل اصبحوا يوم الصليب وقد
أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تبارك وتعالى
تلك السنة السوء من أهل مصر ببركة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه انتهى (أقول) وكان مثل هذه البدعة
فى زماننا هذا وذلك ان النصارى كان عندهم صندوق فيه
اصبع بعض من هلك من عبادهم يسمونه الشهيد وكانوا فى كل
سنة يلقونه فى البحر عند شبرا وهى قرية على شاطئ النيل بالقرب من

القاهرة

القاهرة فى ثامن بشنس من أشهر القبط ويزعمون ان النيل مايزيد الا بالقائه فيه ثم انهم يعيدونه ويحترزون عليه عندهم الى القابل ثم يلقونه أيضا فى التاريخ المذكور وكان يتفق بسببه من ركوب الناس فى البحر من الفساد مالا يعبر عنه فألهم الله تعالى من أجرى الخيرات على يديه المقر السيفى صرغتمش الملكى الناصرى أمير رأس نوبة فأخذ هذا الصندوق وأحرقه وذلك فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة فاتفق ان النيل المبارك زاد فى تلك السنة زيادة لم يعهد مثلها فى دولة الاسلام من تاريخ الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والى يومنا هذا الا انه تجاوز عشرين ذراعا وهذا شئ غريب جدا ثم استمر يجرى فى ذلك كل سنة على جارى عادته فى السنين الماضية وبطلت تلك السنة السيئة (ومن غريب) ماوقع فى زيادته فى تلك السنة انه زاد تسعة عشر اصبعا من تسع عشرة ذراعا فى تاسع عشر شعبان وهذا اتفاق غريب الى الغاية وكنت قد وضعت فيه تلك السنة مقامة جامعها قولى وغرق بقليوب الظلمة الذين هم فى خوضهم يلعبون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فكم بها من نصرانى قد كفر بالانجيل ويهودى قال حين أدركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل * وقد ذكر الله تعالى مصر فى ثمانية عشر موضعا فى كتابه العزيز (منها) قوله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وقوله تعالى فيما حكاه عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى * قال بعض الاطباء ونيلها آية من آيات الله تعالى ومن شرب منه زادت قوته وقيل ان ماء دجلة يضعف شهوة الرجال ويزيد فى شهوة النساء ويقطع نسل الخيل حتى ان جماعة من العرب لا يسقون منها خيلهم وقال أيضا لولا ما بمصر من الليمون والحوضات ماعاش بها أحد لحلاوة مائها * وذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الارض فى المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله تعالى ان يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فاذا انتهى جريانه

الى ماقدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره (أقول) ومصداق
هذا الاثر ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت
الانهار كلها واذا زادت نقص لانها والله أعلم تمده بمائها * وفى أصل النيل
أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى ان مجراه من جبال الثلج وهى بجبل
قاف وانه يخرق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب
والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ماشاء الله تعالى الى ان يأتى الى بحيرة
الزنج قال الحاكى لهذا الكلام ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح
ومايختلط به منه لما كان يستطاع ان يشرب منه لشدة حلاوته * وقال
قوم مبدؤه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة * وقال قوم
مبدؤه من جبل القمر وانه ينبع من اثنتى عشرة عينا * واختلف فى سبب
زيادته ونقصانه فقال قوم لايعلم ذلك الا الله عز وجل * وكان الملك الصالح
نجم الدين أيوب رحمه الله تعالى يشتهى ان يعرف أصل النيل فرسم ان
يشترى عبيد صغار زنوج وماشاكلهم جلبا لم يستعربوا ويسلموا لصيادى
السمك والبحارة ليعلموهم صفة البحر وصيد السمك وان يكون قوتهم من
السمك لاغير فاذا مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب صغار يركبون فيها
ويأتونه بخبر النيل * وكان فرعون يجبى خراج مصر كل سنة مائة ألف
ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهله وبيت ماله والربع الثانى
لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده ويكنز الربع الثالث ذخيرة ويصرف الربع
الرابع فى حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان
فى كل سنة اذا كمل التخضير ينفذ مع قائدين من قواده أردبى قمح فيذهب
أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد كل ناحية وأرض
كل قرية فاذا وجد موضعا بائرا عاطلا قد أغفل بذره وكتب الى فرعون
بذلك وأعلمه اسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك فيأمر بضرب
عنق ذلك العامل واخذ ماله وولده وربما عاد القائدان ولم يجدا موضعا
لبذر الاردبين لتكامل العمارة واستظهار الزراع * وجباها عمرو بن

العاص

العاص اثنى عشر ألف ألف دينار وكان ذلك اوّل دخوله اياها ولما صرف
عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وولى عبد الله بن أبي سرح الذى ولاه
عثمان رضى الله تعالى عنه جبى خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار
فنظر عثمان الى عمرو بن العاص وقال علمت ان اللقحة درت بعدك قال نعم
ولكن أجاعت أولادها وهذا الذى جباه عمرو وعبد الله بن أبي سرح انما
هو على الجماجم على كل رأس شئ معلوم خارجا عن الخراج والمغل وغيرهما
من الاموال الديوانية (وأمّا القاهرة) المحروسة فان الاصل فى بنائها
جوهر القائد قائد المعز صاحب المغرب ومصر وهو اوّل من ملك مصر من
خلفاء الفاطميين وكان السبب فى ملكه مصر أنّ كافورا الاخشيدى
صاحب مصر لما مات جهز المعز القائد جوهرا الى مصر بعسكر عظيم ومعه
ألف حمل من السلاح ومن الخيل مالا يوصف فلما انتظم حاله وملك مصر
ضاقت بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبناها وعمل فيها القصور
وسماها المنصورية وذلك فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من الهجرة النبوية
الشريفة فلما قدم المعز من القيروان غيّر اسمها وسماها القاهرة والسبب
فى ذلك انّ جوهرا لما قصد اقامة السور جمع المنجمين وأمرهم ان يختاروا
طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمى حجارته فجعلوا قوائم من خشب بين القائمة
والقائمة حبل فيه اجراس وافهموا البنائين انه ساعة تحريك الاجراس
يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة
وأخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من تلك الخشب فتحركت
الاجراس فظنّ الموكلون بالبناء انّ المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من
الطين والحجارة فى الاساس فصاح المنجمون (لالا) القاهر فى الطالع فمضى
ذلك وخانهم ما قصدوه وكان الغرض ان يختاروا طالعا لا تخرج البلد عن
نسلهم فوقع انّ المريخ كان فى الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلموا
انّ الاتراك لا تزال هذه البلدة تحت حكمهم وانهم لابد ان يملكوا هذا
الاقليم فلما قدم المعز اليها وأخبر بهذه القصة وكانت له خبرة تامّة بالنجامة

وانفقهم على ذلك ان الترك تكون لهم الغلبة على هذه البلدة فسماها القاهرة وغيرا سمها الاول فكان الامر كما قال وملكها الترك الى يومنا هذا وفى القاهرة أيضا فى قصور الفاطميين قبة تسمى القاهرة يزعم بعض الناس ان القاهرة سميت باسمها والصحيح ماقلناه اولا والله تعالى أعلم

(خاتمة الباب وفيه بعض طائره المستطاب)

(اولها) لما توفى وزير المأمون الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل طلب المأمون من ولد الفضل ماخلفه والده فحمل اليه سلة مختومة مقفلة ففتح قفلها فاذا صندوق صغير مختوم واذا فيه درج وفى الدرج مكتوب بخطه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماقضى الفضل بن سهل على نفسه انه يعيش سبعا وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار فعاش هذه المدة وقتله غالب خادم المأمون فى حمام بسرخس وكان قد ثقل أمره على المأمون فدس عليه غالبا فقتله مغافصة ومعه جماعة وذلك فى سنة اثنتين ومائتين وكانت له معرفة تامة بالنجامة (ثانيها) حكى المسبحى فى تاريخ مصر ان أبا الحسن على بن عبد الرحمن مصنف الزيج الحاكمى كان ابله مغفلا يعتم على طرطور طويل ويركب على بغلة عالية وكان يخرج ضحكة لمن يراه وكان قد أفنى عمره فى الرصد وتسيير النجوم فعمل مالا نظير له وكان يقف للكواكب وكانت له اصابات فى علم النجامة (منها) انه علم انه يموت قبل موته (بسبعة) ايام وكان صحيحا سالما فبيض دهليز داره واعد موضع قبره منها وفرغ من جميع مايحتاج اليه وكان كل من خاطبه من أصحابه وأهله يجاوبهم انه قد جاءه الموت وهو يخرج ويدخل ويتصدق ثم اغلق باب داره وقال لجاريته يا احسان قد اغلقت مالا افتحه أبدا وصنى المأمن بركة داره وغسل مسوّداته ولم يزل يقرأ قل هو الله أحد الى ان خرجت روحه بكرة يوم الاثنين لثلاث خلون من شوّال سنة تسع وأربعين وثلثمائة بعد سبعة ايام كما قال (ثالثها) ومن اصاباته أيضا ان الحاكم قد أعطاه دارا فقال يا أمير المؤمنين اريد ان تعطينى غير هذه الدار فقال ولم قال لان الماء يهلكها

وبافيها فأعطاه غيرها فأخلاها من غد ذلك اليوم فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء سيل عظيم من الجبل الى القاهرة ورمى قصورا ودورا وكان أمرا مهولا لم ير مثله فيما تقدم وذهبت الدار المذكورة فيما ذهب كما اخبر (رابعها) حكى القاضي شمس الدين بن خلكان عن أبي معشر ان بعض الملوك طلب رجلا من اتباعه ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريق التي يستخرج بها الخفايا فأراد ان يعمل شيأ لا يهتدى اليه فاتخذ طشتا من النحاس وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا من الذهب وجلس على الهاون أياما فطلبه الملك وبالغ في طلبه فلما عجز عنه قال لابي معشر عرفني موضعه بما جرت به عادتك فعمل المسئلة التي يستخرج بها ذلك ثم سكت ساعة حائرا فقال له الملك ما سبب سكوتك فقال أرى شيأ عجيبا فقال ما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم محيط به سور من نحاس ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد النظر ففعل ثم قال لا أرى الا كما ذكرت وهذا شيء ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق نادى في البلد بالامان للرجل فلما حضر بين يديه سأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد فأعجبه حسن احتياله في اخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه لذلك وهذا من العجائب ولابي معشر اصابات كثيرة من هذا النوع (خامسها) حكى ابن أبي صنيعة في كتابه الانباء في تاريخ الاطباء وغيره من أرباب التاريخ ان وزير محمود بن صالح صاحب حلب وشى اليه بأن المعري زنديق لا يرى افساد الصور ويزعم ان الرسالة تحصل بصفاء العقل فأمر محمود بطلبه اليه وبعث خمسين فارسا ليحملوه فلما وصلوا اليه أنزلهم أبو العلاء دار الضيافة فدخل عليه مسلم ابن سليمان فقال يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فان منعناك عجزنا وان أسلمناك كان عارا علينا فتقصد ذوي التمام فقال له هون عليك يا عم فلا بأس علينا فلي سلطان يذب عني ثم قام فاغتسل وصلى الى نصف الليل ثم قال لغلامه انظر الى المريخ اين هو قال في كذا وكذا فقال

زنه واضرب تحته وتدا واجعل فى رجلى خيطا واربطه فى الوتد ففعل غلامه ذلك فسمعنا وهو يقول يا قديم الازل يا علة العلل يا غاية الامل يا صانع المخلوقات وموجد الموجودات أنا فى عزك الذى لا يرام وكنفك الذى لا يضام الضيوف الضيوف الوزير الوزير ثم ذكر كلمات لا تفهم واذا بهدة عظيمة فسئل عنها فقيل الدار وقعت على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الحسين وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير قال يوسف بن على فلما شاهدت ذلك دخلت عليه فقال من أنت فقلت أنا فلان فقال زعموا انى زنديق ثم قال لى اكتب واملى على قصيدة منها

بانوا وحتى أمانيهم مصورة * وبت لم يخطروا منى على بال
وفوقوا لى سهاما من سهامهم * فاصبحوا وهم منى باميال
يخاطبونك اذ جندى ملائكة * وجندهم بين طواف وبقال
اذا تنافست الجهال فى حلل * رأيتنى وخسيس القطن سربالى
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة * اخاف من سوء اقوالى وافعالى
وأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبدا كرام واجلال
أصون دينى عن جعل اؤمله * اذا تعبد اقوام باجعال

(سادسها) حكى القاضى شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ان شهاب الدين السهروردى المقتول بحلب كان بارعا فى اصول الفقه أوحد أهل زمانه فى العلوم الفلسفية وكان يعرف علم السيمياء قال وحكى عنه بعض فقهاء العجم انه كان فى صحبته وقد خرجوا من دمشق المحروسة قال فلما وصلنا الى القابون لقينا قطيع غنم مع رجل تركمانى فقلت للشيخ يا مولانا نريد من هذه الغنم رأسا نأكله فقال معى عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم وكان هناك تركمانى فاشترينا من التركمانى الرأس بالدراهم ومشينا فلحقنا رفيق له وقال ردوا الرأس وخذوا أصغر منه فان هذا ما عرف يبيعكم فتقاولنا نحن واياه فلما عرف الشيخ القصة قال لنا خذوا أنتم الرأس وامشوا وأنا

اقف

أقف معه وارضيه فتقدمنا نحن وبقى الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه فلما بعدنا قليلا تركه الشيخ وتبعنا وبقى التركمانى يمشى خلفه ويصيح وهو لا يلتفت اليه فلما رأى انه لا يكلمه لحقه وقبض على يده اليسرى وقال كيف تروح وتخليني وما تعطيني حقى واذا بيد الشيخ قد انخلعت معه من عند كتفه وبقيت فى يد التركمانى فلما عاين التركمانى ذلك تحير فى أمره ورمى اليد وخاف وهرب فرجع الشيخ وأخذ اليد بيده اليمنى ولحقنا وبقى التركمانى راجعا هاربا وهو يلتفت اليه حتى غاب عنه فلما وصل الينا الشيخ رأينا فى يده منديلا لاغير (سابعها) حكى الحكيم بن ابراهيم بن أبى الفضل عن السهروردى هذا أيضا انه كان يعرف علم السيمياء وله فى ذلك خوارق من وراء العقل قال فمن ذلك ما اتفق لى معه وذلك انى خرجت معه أنا وجماعة من التلامذة من باب الفرج بدمشق فبينما نحن بالقرب من الميدان الكبير أجرى بعض الجماعة ذكر علم السيمياء وعجائبه وما للشيخ فيها من اليد الطولى وهو يسمع فمشى قليلا وقال أيما أحسن دمشق أو هذا الموضع قال فنظرنا فاذا من جهة الشرق جواسق عالية متدانية بعضها من بعض مضيئة وهى من أحسن شئ يكون من زخرفة الحيطان والسقوف وبها طاقات كبار وشبابيك فيها نساء عليهن أنواع الحلى والاقمشة لم ير مثلهن فى الدنيا وأصوات مغانى وملاهى واشجار ملتفة بعضها على بعض وأنهار جارية كبار فتعجبنا من ذلك ساعة ثم غاب عنا فعدنا الى رؤية ما كنا عليه من الاول الا انى كنت عند رؤية ذلك الامر العجيب كأنى فى سنة خفيفة ولم يكن ادراكى كالحالة التى كنت أحققها منى أولا

الباب الرابع

فى بيان كون مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره سابع من جلس على سرير الملك من اخوته وذكر من ولى الملك من الترك من أول دولتهم والى يومنا هذا على سبيل الاختصار

(أقول) آخر ملوك مصر من بنى أيوب الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح

أيوب وكانت مدة مملكته احدا وسبعين يوما ثم قتل وكان السبب في قتله انه لما حضر من حصن كيفا بعد موت والده الملك الصالح واستقل بالملك في مصر اخذ في ابعاد مماليك أبيه وتقريب مماليكه الذين وصلوا معه الى الشرق فعند ذلك اجتمع جماعة من مماليك أبيه واتفقوا على قتله ودخلوا عليه وفي أيديهم السيوف مجردة فهرب منهم الى برج خشب كان في خيمته وغلق عليه بابه فرموا فيه النار فأحرقوه فخرج من البرج وهرب الى البحر فأدركوه وضربوه بالسيوف فرمى نفسه في البحر فتبعوه وقتلوه في البحر فمات رحمه الله تعالى حريقا غريقا قتيلا وذلك في يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة (قال) القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله رحمه الله تعالى ثم بعد ذلك اتفق الامراء وملكوا شجر الدر ام خليل سرية الملك الصالح وحلفوا لها واستحلفوا لها جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين ايبك التركماني أتابك العساكر ثم انها تزوجت الامير عز الدين ايبك المذكور وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من الملك وسلمته اليه في آخر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فكانت مدة مملكتها ثلاثة شهور فتلقب الامير عز الدين ايبك التركماني المذكور بالملك المعز واستقل بالملك من التاريخ المذكور (فكان) أول من ملك من الترك فبقي في الملك الى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم خنق في الحمام وكان السبب في ذلك انه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لنفسه فبلغ ذلك زوجته شجر الدر فتغيرت عليه وتغير هو عليها أيضا وكرهها لانها كانت تمن عليه بأنها التي ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف في مملكة مصر وتأمر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التي هي ام ولده نور الدين علي حتى ألزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه ترك الملك ونزل الى مناظر اللوق وأقام بها أياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد اعدت اليه من يقتله ودخل الحمام

ليلا

ليلا فقد خلت اليه ومعها خمس خدام فأخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه
فاستغاثت بشجر الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظ لها بعضهم فى القول وقال
لها متى تركناه لا يبقى عليك ولا علينا ثم قتلوه فى التاريخ المذكور (وملك)
بعده ولده الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز وقبض على شجر الدر
ودخل بها الى امه فقتلتها بالقباقيب الى ان ماتت ورمتها الى الخندق عريانة
على باب القلعة وبعد أيام دفنت فى تربتها فكانت مدة ملك المعز سبع
سنين الا ثلاثة أشهر واياما ثم ولى الملك بعده ولده الملك المنصور نور الدين على
فبقى فى الملك الى سنة سبع وخمسين فاستولى عليه (الملك المظفر)
سيف الدين قطز فى هذه السنة ونفاه وملك بعده وبقى فى الملك الى ذى
القعدة من سنة ثمان وخمسين ثم قتل بالقصير بالقرب من العاقولة بدرب
القاضى بعد كسره التتار بعين جالوت ودفن بالقصير رحمه الله تعالى (ثم
ملك) بعده الملك الظاهر بيبرس فى الشهر المذكور ودخل الى مصر واستقر
فى الملك الى سنة ست وسبعين وستمائة ثم مات بدمشق فى السابع والعشرين
من محرم وتولى بعده (الملك السعيد) ناصر الدين بركة فبقى فى الملك الى سنة
ثمان وسبعين ثم خلع وملك بعده أخوه (الملك العادل) سلامش بن الملك
الظاهر وكان صغيرا عمره سبع سنين وعمل نيابته الملك المنصور سيف
الدين أبو المعالى قلاوون التركى الصالحى النجمى الالفى وحلفت له الامراء
معه وذكرا معا فى الخطبة وضربت السكة بوجهين وجه لسلامش
الملك العادل ووجه لقلاوون فبقى الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خلع
(واستقل بالملك) السلطان الملك المنصور وذلك فى رجب سنة ثمان وسبعين
وستمائة واستمر فى الملك الى ان توفى رحمه الله تعالى فى سادس ذى القعدة
سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت دولته احدى عشرة سنة وأربعة
أشهر وكان قد عهد بالملك فى حياته لولده السلطان الملك الصالح على وخطب
له معه فأدركته المنية وهو شاب فتوفى فى حياة أبيه رحمه الله تعالى فى شعبان
المكرم سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أخته غازية خاتون زوج

السعيد بن الملك الظاهر بشهور ودفنا عند امهما فى تربة بين مصر والقاهرة وللسراج الوراق فيه قصيدة يمدحه بها منها قوله

لقد عف فى سلطانه وجماله * فلله ملك فيهما قد تعففا
وأغرب فى تصنيف افعاله التى * روينا بها عنه الغريب المصنفا

(ثم) ملك بعد الملك المنصور ولده (السلطان الملك الاشرف) صلاح الدين خليل فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة والده الملك المنصور واتفق انه خرج الى الصعيد ونزل بأرض الحمامات فلما كان وقت العصر وهو يتروجه حضر اليه نائب السلطنة الامير بيدرا ومعه جماعة من الامراء فأحاطوا به ولم يكن معه سيف ولا أحد من مماليكه فبادر اليه بيدرا وضربه بالسيف فقطع يده فصاح به حسام الدين لاجين وقال له من يريد الملك تكون هذه ضربته وضربه على كتفه ضربة سقط منها الى الارض وتركوه فى البرية طريحا شعر

فلم تعد لا يا صاحبى عن الاسى * وعينا على صرف الزمان وساعدا
ألم تر يا ليث الشرا قد تناهشت * ذئاب الفلا منه ذراعا وساعدا

(وكان) ذلك فى العشر الاول من المحرم سنة اثنتين وتسعين وستمائة وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام وكان من أبناء الثلاثين رحمه الله تعالى ثم ملك بعده أخوه (السلطان الملك الناصر) ناصر الدنيا والدين محمد بن المنصور قلاوون الالفى الصالحى وجلس على سرير الملك فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فبقى فى الملك الى المحرم سنة أربع وتسعين ثم خلع وتولى بعده (الملك العادل) زين الدين كتبغا المنصورى واستمر فى الملك الى شهر المحرم سنة ست وتسعين وستمائة (ثم ملك) بعده الملك المنصور (حسام الدين لاجين) المنصورى وأقام فى الملك الى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة فهجم عليه جماعة من الخاسكية فى ليلة الجمعة وهو قاعد يلعب بالشطرنج مع أحد جلسائه فقطعوه بالسيوف وقضى الله تعالى فيه أمره ثم اتفق الرأى على احضار الملك

الناصر

الناصر من الكرك فعاد الى ملكه واستمر فى الملك من سنة ثمان وتسعين وستمائة الى سنة ثمان وسبعمائة فاضطربت أحوال مملكته وخشى على نفسه فأظهر أنه عازم على التوجه الى الحج الشريف فلما تأهب لذلك وصار فى أثناء الطريق عرج الى الكرك وأقام بها وثنى عزمه عن المسير الى الحج وذكر ان قصده الانقطاع والتخلى عن الملك وأمر من كان معه من الامراء بالعود الى الديار المصرية فلما رجعوا اتفق الرأى على أن يكون بيبرس الجاشنكير سلطانا وسلار نائبا عنه فجلس بيبرس على سرير الملك وسمى نفسه بالمظفر فأقام فى الملك أحد عشر شهرا (فلما كان) يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة تسع وسبعمائة اضطربت أحواله وبلغه أن الملك الناصر عازم على التوجه من دمشق اليه لانه كان قد توجه اليه جماعة من أمراء المصريين الى الكرك وساروا به الى دمشق فانتظم حاله وعزم على العود الى ملكه فلما تحقق الملك المظفر بيبرس ذلك أخذ جميع ما فى الخزائن من الاموال وتوجه الى جهة اسوان فلما كان يوم الخميس الثانى من شوال وصل السلطان الملك الناصر من دمشق الى مصر وجلس على سرير الملك فى اليوم المذكور وقت الخوان وحلفت له العساكر وانتظم حاله وأمر بهادراص وجماعة من الامراء بالتوجه الى الملك المظفر بيبرس فتوجهوا اليه فاتفق معهم على أن يدخل تحت طاعة السلطان الملك الناصر ويعطيه صهيون واعمالها فلما حضر أودعه الاعتقال وأذاقه النكال فانقلب الدست عليه ورأى قبل موته من دموعه غسله بعينيه (وكان) مولد السلطان الملك الناصر فى الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة وتوفى يوم الاربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن ليلة الخميس بالمدرسة المنصورية بين القصرين وأنزل على والده الملك المنصور قلاوون رحمهما الله تعالى وكانت مدة اقامته فى الملك فى النوبة الاولى والثانية والثالثة نيفا وأربعين سنة (السلطان الملك المنصور أبو بكر) ابن السلطان الملك الناصر محمد بن

قلاوون جلس على سرير الملك يوم الخميس العشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثانى يوم وفاة والده الملك الناصر المذكور فأقام فى الملك شهرين وأياما قلائل ثم خلع فى العشر الاخير من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة (أخوه السلطان الملك الاشرف كجك شرف الدين) ابن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك المنصور فى أواخر شهر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكان عمره يومئذ ست سنين تقريبا فأقام فى الملك الى يوم الاحد تاسع شوال ثم خلع وتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة فى أيام أخيه الملك الكامل شعبان والله أعلم بعونه كيف كان (أخوه السلطان الملك الناصر) شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الاشرف كجك فى عاشر شوال يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكان قد قدم من الكرك فأقام بالملك بمصر أربعين يوما ثم رجع الى الكرك ولم يزل هنالك حتى خلع فى يوم الخميس ثانى عشر شهر الله المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وقتل فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة فكانت مدته الى ان خلع واقيم الملك الصالح سنة أشهر (أخوه السلطان الملك الصالح) عماد الدين ابو الفداء اسمعيل ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الناصر احمد فى يوم الخميس ثانى عشرى شهر الله المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فأقام فى الملك الى أن توفى فى سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وأياما (أخوه السلطان الملك الكامل شعبان) ابن الملك الناصر جلس على سرير الملك بعد أن دفن اخوه الملك الصالح فحلفت له أركان الدولة يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباتة حين ولايته الملك فى التاريخ المذكور

طلعة سلطاننا تبدت * بكامل السعد فى الطلوع

فاعجب

فاعجب لها كيف منه أبدت * هلال شعبان فى ربيع

(أخوه السلطان الملك المظفر حاجى) ابن السلطان الملك الناصر محمد جلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الكامل فى مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فأقام فى الملك الى ثانى عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ثم خلع وانتقل الى رحمة الله تعالى وكانت مدته سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما (أخوه مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو المحاسن حسن) ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جعله الله تعالى وارث الاعمار عالى المنار محروسا بملائكته الابرار جلس على سرير الملك بكرة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان المعظم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد خلع أخيه الملك المظفر وضربت له البشائر وحضر فى البشارة الى الشأم المحروس الامير سيف الدين اسنبغا المحمودى السلاح دار فصفقت من دمشق أنهارها السبعة واصبحت جبهتها مباركة الطلعة وانشق زهر ربوتها وتألف ورقص غصن بانها وتقصف واخذت الاسواق فى الزينة وابرزت من جواهر مصوغها كل درة ثمينة فخرجت الناس لربوتها يهرعون وأقاموا فى الفرح سبعة أيام قليلا من الليل ما يهجعون وهى الى الان تدعو لمولانا السلطان بألسنة ملاكها ومماليكها وترقب اخباره السارة بعيون شبابيكها

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) أقول قد تقدم ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون والد مولانا السلطان أعز الله تعالى أنصاره كان ممن نصره الله تعالى على من بغى عليه لانه كان يقال ما اعطى البغى أحدا شيأ الا أخذ منه اضعافه وكان يقال ما اجتمع الملك والبغى على سرير الا خلا وكان يقال الملك الحازم ينال غرضه من عدوه بأربعة أشياء باللين والبذل والمكيدة والمجاهرة بالعداوة فى آخر وقت اذا رأى الفرصة كما اتفق للملك الناصر رحمه الله تعالى ومثال

هذه الاشياء الاربعة التى ذكرتها مثال الخراج الذى يخرج فى بدن الانسان فان علاجه فى أول مرة التحليل فان لم ينفع فالتليين والانضاج فان لم ينجع فالبط فان لم يكف فالكى وهو آخر العلاج ولهذا قيل آخر الطب الكى فان استعمل أحد هذه الاشياء الاربعة المذكورة مكان الآخر كان ذلك فسادا فى التدبير بل يستعمل على الترتيب المذكور والى الله تعالى عاقبة الامور (ثانيها) الملك الحازم ينال غرضه من اعدائه بالصبر لان الصبر مطية لا تكبو قال بعض العلماء بسير الملوك ان الصحيفة الصفراء المعلقة فى أعظم هيا كل الفرس كان المكتوب فيها كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكهذا الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر (ثالثها) صبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو القوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة القوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها فى الملوك الثبات فى حالة الحرب ولا يراد من الملك الاقدام على المكافحة فان ذلك من الملوك طيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين ولهذا انكر بعض اهل زماننا على سلطان بلادنا أمير المؤمنين ابى الحسن الزينى سلطان الغرب رحمه الله تعالى لانه كان يقتحم الهيجاء بنفسه ويلحق فى الحرب يومه بأمسه فهو وان كان فارسا كرارا وخلص بقائم سيفه مرارا فانه ليس المخاطر بمحمود وان سلم (رابعها) قال بزرجمهر علامة الظفر بالامور المستصعبة المحافظة على الصبر وملازمة الطلب وكتمان السر ومن كلام الحسن البصرى جربنا وجرب من قبلنا فلم نر شيأ أنفع واجود من الصبر ولا أضر من فقده به تداوى الامور ولا يداوى هو بغيره (خامسها) قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه ورضى عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل كانت لذلك أهلا لا يرجون أحدكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين أحدكم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم ولا يستحيين احدكم اذا لم يعلم الشئ ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس للجسد ولا خير فى جسد لا رأس له ولا فى ايمان

لاصبر

لاصبر معه (سادسها) عن عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها انها قالت لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال الحرث بن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مرّ لا يتجرّعه الاحرّ وما أحسن قول بعضهم

اذا حل بك الامر * فكن بالصبر لوّاذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

(سابعها) قال أبو العباس كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى دواد القاضى فقلت قد تظافروا علىّ وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فقلت انهم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

الباب الخامس

فى ذكر طرف يسير من سيرة مولانا السلطان أعز الله أنصاره وسيرة اخوته وأبيه وعمه الملك الصالح والملك الاشرف وجده الملك المنصور قلاوون

(أقول) ان السلطان الملك المنصور قلاوون تسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش ابن الملك الظاهر وصفا له الباطن والظاهر فتصرّف فى البلاد عرضا وطولا وكانت له فى معرفة النظر فى الكشف اليد الطولى وله فى ذلك الغرائب والعجائب فهو ممن تجنب السبع الموبقات وأكثر من الفتح والفتوحات فكسر التتار سنة ثمانين وترك الفرنج من جيشه فى حلقة التسعين وله فى القاهرة الاوقاف المبرورة والمدرسة المشهورة والبيمارستان الذى هو من حسنات الزمان وتحتاج اليه الملوك ويفتقر اليه الغنىّ والصعلوك فهو عون الفقير وجبر الكسير ولا سيما فى هذا الزمان الذى نظر الله تعالى اليه وجعل الناظر فيه من أجرى الخيرات على يديه المقرّ الاشرف السيفى صرغتمش رأس نوبة الملكى الناصرى أعز الله تعالى أنصاره

أمير محكم التدبير طب * ملىّ بالطعام وبالطعان

خبير باللغات ومن عراها * سليل الترك يعرف باللسان
أتابك عسكر الامراء يبدو * لنا أنبو به قبل السنان
له وجه أنار البدر منه * فمنه يستمد النيران
حكاه البدر في حسن ولكن * يفوق البدر بالشيم الحسان
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان
كما بين الثريا والثرى لا * كما بين الرعان الى المحان
أصارمه اليماني برق وبل * رعاه الله من برق يماني
فكم أجلي به ظلماء خطب * وجاء من الضياء بما كفاني
دمشقي النجار عزيز مصر * يماني الجود صيني الاواني
ترى الرمدى اذا ما شاهدوه * ضياء في العيون وفي العيان
فكم قرت لهم عين وأمسى * لناظر كل عين ناظران
يسابق فعل هذا قول هذا * فكل سابق بالخير ثاني
فهذا بالسياسة والايادي * وهذا باليدين وباللسان

هذا مع ما أنشأه المقر السيفي المذكور صرف تعالى عنه عظائم الامور من المدرسة المعظمة على مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله تعالى عنه فانتمى اليه أحسن الانتماء وامست مدرسته تنسب الى أبي حنيفة وفقهه أصلها ثابت وفرعها في السماء فلا غرو اذ حوت بسكانها سكينة وسمتا واصبحت بطريقة الشيخ قوام الدين في العلم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا فهو خادم السنة الشريفة والاخير الذي لو أدرك الصدر الاول لقيل أبو يوسف أبو حنيفه فالله تعالى يتقبل دعاء القاعد بها للواقف ويضاعف حسناته مضاعفة الحبة والله يضاعف

فلهابه فضل على الاقران * ما بان في الاغصان فضل البان
قد انبت الترخيم في محرابها * زهرا كدر قلائد العقيان
فكأنه كسرى أنوشروان قد * وضعوا عليه التاج في الايوان
لولم تبت وأبو حنيفة شيخها * ماشبهت بشقائق النعمان

حبر يطوف بمصر بحر علومه * حتى كأن الناس فى طوفان
ينمى اليه العلم فهو زمامه * وابو حنيفتنا الامام الثانى
وغدا له فى البحث كل طريقة * نسبت الى التحقيق والاتقان

(السلطان الملك الصالح على) على الهمة حسن العمة معدود فى نجباء الابناء وابناء النجباء عهد ابوه الملك المنصور اليه واعتمد فى تدبير المملكة عليه فمات بعد ان خطب له معه على المنابر ونطقت بمراسيمه الشريفة ألسنة الاقلام فى افواه المحابر وقال فيه محيى الدين بن عبد الظاهر من جملة كتاب كتبه على لسان أبيه الى بعض النواب ونحن بحمد الله تعالى حزنا بالصبر المثوبة الباطنة والظاهرة وكان من غرضنا ان نجعله ملكا فى الدنيا فجعله الله ملكا فى الآخرة (السلطان الملك الاشرف خليل) كان ليثا هماما وبطلا ضرغاما افتتح ملكه بالجهاد وتمهيد البلاد فنظف الساحل وقطع عن أهله الواصل وصاد بفخاخ منجنيقاته عكا وصيدا وأعد لجاراتهم ومباراتهم سابقات وعدا عليدا فتسور السور على أهون صور وهجم البيوت على أهل بيروت ونال الغرض الاسنى من أهل بهسنا فاستد بها باب الشر حين فتحت وتلا بعدها على قلعة الروم الم غلبت فأفنى أوقاته فى الحروب وأخذ بثأر ابن أيوب ولاسيما حين فتح عكا ودك أرضها بسنابك خيله دكا دكا فهدم أسوارها وأسر أبكارها وقتل علوجها ورعى مروجها ففرح به المسلمون وانتصروا وقطع دابر القوم الذين كفروا وكان رحمه الله مع ما فيه من المبادرة حسن النادرة يحب الغرباء ويطارح الادباء * وفيه يقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف فضله الباهر ما رأيت ولا سمعت باسبق من ذهنه الى الفهم ولا أدرك منه لما يزيل الوهم ولقد كتبت عنه واستكتبت فما علم على مكتوب قط الا وقرأه جميعه وفهم أصوله المكتوبة وفروعه لا بل واستدرك على وعلى الكتاب وخرج أشياء كثيرة معه فيها الصواب وذلك بحسن تعطف وتلطف ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعظم فى نفسه

فى آخر وقته الى ان صار يكتب فى موضع العلامة (خ) اشارة الى الحرف الاول من اسمه ومنع كتاب الانشاء أن يكتبوا لاحد من الامراء والنواب الزعيمى وكان يقول من زعيم الجيوش غيرى وكان يؤخذ على حمل الجمل من القمح خمسة دراهم مكسا فى باب الجابية بدمشق فأول ولايته وردت منه مسامحة باسقاط ذلك وبين سطور المرسوم بخطه بقلم العلامة ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة بيت مفرد

وأزرق الصبح يبدو قبل ابيضه * وأول الغيث قطر ثم ينهمل

واليه تنسب الاشرفية التى بقلعة الجبل المحروسة التى هى الآن كنانة الله فى أرضه ومعقل سنة العدل وفرضه والسر فى السكان لا فى المنزل قد اصبحت وعلى وجوه خدامها للحسن أشراط ولا ذان شرافاتها بين النجوم بعصر أقراط فالزهر ازهارها وجداول نهر المجرة انهارها والبروج قصورها وهالة القمر سورها والسعود أخبيتها وفريقها وسهيل الى صلة الارزاق طريقها وحاجب الشمس اميرها وشيخو شيخ رأيها ومشيرها (شعر)

شيخو حمى جيرانها واجارها * وعلا بهمته سهيلا جارها
شيخو فتى الفتيان ان حمى الوغى * أطفى فوارسها واضرم نارها
شيخو يبيت البرق خلف جياده * يجرى ولكن لا يشق غبارها
شيخو منا جله صوارمه التى * حصدت بها اعداؤه أعمارها
شيخو تخاف الاسد منه فاصبحت * مصر وقد أخلت بها اوكارها
شيخو علت درجاته بمنارة * علت النجوم وحدثت أخبارها
شيخو فتى الفتيان سحب نواله * أرخت عليه من الحياء إزارها

فلله ما بناه من الجامع الذى هو لانواع العلوم والمحاسن جامع (شعر)

ومدرسة للعلم فيها مواطن * فشيخونها فرد وإيثاره جمع
لئن بات منها فى القلوب مهابة * فواقفها الليث واشياخها سبع

قد أكثر بها المواهب وسلك فيها بجمع الائمة الاربعة أحسن المذاهب فأزاح بتعاليلهم العلل ومزج الفقهاء بالصوفية فجمع بين العلم والعمل

فاجرها

فأجرها عند الله أفضل وذاتها بالشيخ اكمل وكيف لا وهو

شيخ الى سبيل الرشاد مسلك * وطريقه فى العلم مالا يجهل
شيخ بحسن شروحه وبيانه * ما بات بالمفتاح باب يقفل
شيخ تبحر في العلوم فمن رأى * بحرا يسوغ لوارديه المنهل
شيخ عليه من المهابة رونق * كالبدر لكن وجهه متهلل
شيخ له فى الطالبين مسائل * فى العلم عمن ليس يسأل يسأل
شيخ تقدم فى العلوم لانه * ان عد أرباب الفضائل أول
ما قيل هذا كامل فى ذاته * الا وقلت الشيخ عندى أكمل

فالله تعالى يشيد أركانه ويؤيد سلطانه ويبسط ظله الظليل ويكافئه عن حوض السبيل بالسلسبيل ليصبح باجر الظمآن فى امان ويدخل الجنة مع الصائمين من باب يقال له الريان (السلطان الاعظم الملك الناصر محمد) كان ملكا مهابا وجوادا وهابا لمقوة بطش وباس ومهابة فى قلوب الناس قد حلب اشطر الدهر وجرى ذكره من النيل الى ماوراء النهر وانتشر ذكره فى الآفاق وأصبح لهيبته نسب عريق فى العراق طالما ضرب مع التتر المصاف وقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف فأذاقهم النكال وكفى الله المؤمنين القتال فهو ممن خدمته السعاده ونال من أعدائه ما أراده وزياده امسك الى أن مات ما ينيف عن مائة وستين أميرا وكان يقتنص الشارد ويصطاد الغزال وهو قاعد وكان رحمه الله يحب مماليكه ويبالغ فى اكرامهم ويتغالى فى محبتهم واثمانهم فكان يبذل فى أثمانهم النقود النضه وينفق عليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضه ولله جار الله حيث يقول

فان وجوه الترك والله جارها * بدور على امثالها ينفق الدر

فعظموا فى أيامه وتخولوا فى انعامه فمنهم الامن حسنت آثاره وبنى المدارس والجوامع فانتشر العلم وارتفع مناره

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولاسيما ما أنشأه المقر السيفي الملكي منجك الناصري وزير الديار المصرية كان كافل الممالك بالمملكة الاطرابلسية الآن من الجامع الذي جمع المحاسن واجتمع بصهريجه ماء غير آسن كم أطلعت زهر قناديله نجما وكم مشيت فيه وان كنت أحب الصالحين ولست منهم على الما والمرء يصلحه القرين الصالح والخانقاه الذي تشرفت من طلبة الصوفية بالعلم والعمل وأصبحت كأنها من المنقطعين الى الله تعالى في رأس جبل وهي الآن مما ذكرت بسكانها أهلي وبلادي ذكرى حبيب وأصبح لي بها بين الصوفية حظ ونصيب فأنا وان كنت شيخهم خادمهم على الحقيقة وسالك الطريق أمامهم فلا غرو اذا تكلمت على الطريقة فقلت

أرى منة التوحيد أعظم منة * على غيظ جهال الورى الثنوية
فأشهد أن الله لارب غيره * وأن رسول الله خير البرية
ومن مذهبي حب النبي وآله * وأصحابه والتابعين الائمة
ولم أخش في أثناء قولي دسائسا * فيا ويل من أمسى من الحشوية
ولو كان هذا موضع القول أظهرت * بدائع تطمى عنهم كل بدعة
وبينت قول الملحدين باسرهم * بأبيات تطم كالحصون المنيعة
ترى الهمز فيها مثل ورق حمائم * وقد أعربت عن ألسن أعجمية

فيا لها من خانقاه تشرق قناديلها في كل زاوية ويعجز عن وصف صهريجها صريع الدلاء وحماد الراوية فكم فيها للصوفية من خلوه وكم لعروس منارها من جلوه فالله تعالى يضاعف للواقف والقاعد بها الحسنات ويرفع لباني منارها الدرجات ويكثر به في أمة صاحب الكوثر ويقر عينه بالصهريج يوم العطش الاكبر ويروي سيوفه من دماء عدو الدين المخذول ويتقبل فيه دعاء المملوك حيث يقوم ويقول

أمنجك سل في الاعداء بترك * ولاتترك من الجهال بترك
فباع الشرك منك اليوم شبر * غدا لحتف أهل الزيغ فترك
وصلب في جذوع النخل منهم * لينكسر الصليب اذا وبترك


فكم

فكم سكنت من خفقان قلب * اذا ما قيل جيشهم تحرك
فادركت المعالى بالعوالى * ولكن فضل جودك ليس يدرك
لجودك حول شاطى البحر يجرى * فيا لله فيه ما ابرك
وقد أوحشت مصرا حين قالت * تولى الله حيث حللت نصرك

(الملك المنصور) أبو بكر رحمه الله تعالى كان أبوه الملك الناصر قد نص عليه واسند الوصية بالملك اليه وذلك بحضرة قوصون وبشتاك وجماعة من الامراء الاتراك فما اختلف عليه اثنان ولا قيل هذان خصمان فسار سيرة حسنه وجلس على سرير الملك وقد ناهز العشرين سنه فولى من ولى وعزل من أدبر وتولى فبسط العدل واكثر البذل وأجزل العطيه وأحبته الرعيه وعامل خاصكية أبيه بالمعروف وبذل فيهم الالوف بعد الالوف فقيل سار أبو بكر سيرة العمرين وطار الخبر بعلو همته الى النيرين فلم يكن الا ريثما استد ساعده وتمهدت قواعده اذ سولت له قرناؤه وخانه الدهر وابناؤه فنسبوه بركوب البحر الى الخوض مع الخائضين وشهدوا وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين بيت

ومن الذى ينجو من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل

وقد علم الله تعالى تحريف ذلك القول وضعف روايته من تلك السنة الى هذا العام فلا حول فلم يكن الا كسنة من النوم أو يوم أو بعض يوم اذا اخذ بغتته وقيل كانت ولاية أبي بكر فلته فخرج سابع سبعة من اخوته الى قوص وفقد هنالك شخصه الكريم على الخوص فاصبح وقد أضمرته البلاد ولبس لفقده حتى الخطيب السواد فاغمض هنالك جفن طرفه المنتبه وكان ذلك آخر العهد به رحمه الله تعالى (الملك الاشرف كجك) تصرف فى الاحكام صغيرا وأوتى على صغر سنه ملكا كبيرا فكان سابورى الولايه صغيرا الى الغايه لاجرم انه جرى عليه ما يشيب به الوليد وقالت الايام لعكس مراده انك لتعلم ما نريد فخذل بعد أخيه

المنصور وجرت عليه والله غالب على أمره أمور فانتصر أخوه الملك الناصر عليه ونزع الملك باليد القوية من بين يديه فلم يزل فى أسر الاعتقال وتيه الانتقال الى ان الحق بعمه الاشرف وقد قدم على الجنة وأشرف فتزعت لفقده الاسنان قرع الاسنه وطار خبره فى الآفاق فهنيئا له عصفورا من عصافير الجنه فياله من موروثا اورث فى القلب حزنا وجنى ورد من لاجنى عليه وربما عوقب من لاجنى (وقيل)

ويحرم جره سفهاء قوم * فحل بغير جانيه العقاب

وقال آخر

غيرى جنى وانا المعاقب فيكم * فكأننى سبابة المتندم

(وكان) قوصون فى أيامه مشير دولته ولسان مملكته فاستولى على الممالك وتصرف فى المملوك والمالك فامهل قليلا ثم أخذ أخذا وبيلا فندم ولم ينفعه الندم ولحقت طراطيشه العجم فنهبت خانقاته وتنكست لشؤم رأيه راياته فبطل زمره وطبله وخلا من الخيول اصطبله فاستشفى به الحسود وأصبح عبرة فى الوجود وكيف لا وقد فارق الاهل والولد وأصبح فى الاسكندريه ورجله فى صفد ولم يزل بها سابع سبعة من الامراء المعتقلين الى ان مضى فيهم حكم رب العالمين وفرغ زيت قنديلهم وأمر بجروحهم بعد تعديلهم فخلا منهم المكان ودخلوا فى خبر كان (الملك الناصر) شهاب الدين احمد كان أكبر اخوته سنا وأرجحهم فى العين وزنا فهو ليثهم الغالب وشهابهم الثاقب وكان ابوه قد أخرجه الى الكرك وهو صغير السن فجعلها محط رحاله وكنانة سهامه ورجاله فأقام بها سنده وأنشأ بها انشاآت عدده فلم يزل بها الى ان حدث بالشام مظالم وفعل الفخرى مع نائب دمشق فعل الحمية بالظالم واتفق بعد ذلك لقوصون ما تقدم ذكره واشتهر بين الناس أمره فعند ذلك خطبت له عقائد الممالك وطلب الى مصر من هنالك فحضر بعد تثبت ومهله ودخل المدينة على حين غفله فجلس على سرير الملك بعد خلع أخيه المذكور آنفا وأمر بقتل

سبعة من الامراء المعتقلين بالاسكندرية ممن كان له مخالفا فولغ في دمائهم بلسان السنان وقال حين أخذ بثار أخيه أبي بكر واثارات عثمان فلم يكن الاكرورة الحبيب أوغيبة الرقيب أوغمزة حاجب أومشقة كاتب اذكر راجعا الى الكرك التي هي تربة أترابه ومنارة منازل أحبابه بيت

ركب الاهوال في زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

وكان في أثناء ذلك قد أمسك أميرين أحدهما نائبه والآخر عضده وساعده فجعلهما عند وصوله الى الكرك مثله وقتلهما شر قتله فأهمل جانب مساعده وأقبل على ماكان عليه من اللهو أيام والده فتفاقم الامر واختصم زيد وعمرو فانتشأ الخلاف وخرجت الخوارج في الاطراف وتمرت بنو نمير وقيل للنمير فيهم لاخير ولامير فاتسع الخرق على الراقع وزوع رجاله ابن نقيبه المزارع فقطعت الطرقات وكثرت السرقات واضطربت الاقوال وعظمت الاراجيف والاهوال ووقع المراء وتجاذبت الآراء وكثر الفساد وخربت البلاد فآل الامر الى خلعه وولاية أخيه الصالح وكان ذلك من أكبر المصالح (السلطان الملك الصالح) عماد الدين اسمعيل كان من أجود الاخوه وأكبرهم مروءة ونخوه على شكله طلاوه وفيه خير وتلاوه اتفقت عليه الآراء بعد خلع أخيه الناصر وحلفت له العساكر ودقت له البشائر فعدل في الاحكام وعامل الرعية بالاكرام فآمنت به البلاد وطابت قلوب العباد (فلو ترك القطا لسلا لناما) فزال بولايته الباس وقيل لخطيب محاسنه (مافي وقوفك ساعة من من باس) (وكان) أخوه الملك الناصر قد تحصن في الكرك وأخرج منها من أخرج وترك فيها من ترك بيت

سجدوا أمورا لاتفر وآمن * ماليس ينجيه من الاقدار

فأمر بتجهيز العساكر اليه والتضييق عليه فاقبل اليه ابن صبيح حين أدبر الظلام وكسيت روس الجبال عمائم الغمام

غمام ربما مطر انتقاما * فأقحط ودقه البلد المريعا

هذا بعد ان دق النفير وجمع العشير فأخلى الضياع وملأ بأهل البقاع البقاع وكثر بأهل السويداء السواد واكثر من الجارين الذين نقبوا فى البلاد ثم تكاثرت من بعده العساكر فاقبل من المصريين كل شجاع معتقل من رمحه بناشر فدبت فى أثرهم الدبابات وزحفت الزحافات فتأهب للقاهم واستقل جمعهم وهم ماهم جمع كثير وجم غفير قد ملأت شعوب قبائلهم الشعاب واصبحت المصريون منهم والشاميون عدد الرمل والحصى والتراب فاحدقت به حدائق العساكر واحاطوا بالقلعة احاطة السواد بالناظر فاستقبلت مناجيقهم عيون مراميها فى النظر وتلقته من سورها على رأى العامة بوجه ابلط من الحجر فعجبوا حين سكن الريح من خنادقها الهاويه وعجزوا عن وصف قوارير نقطها وما أدراك ماهيه فسورها على شفا جرف هار وبروجها بين النجوم عالية المقدار فالتحم بينهم القتال وتكسرت النصال على النصال واخذت الفرسان والرماة فى التحريك والتسكين وذبح من نزل به القضاء من النشاب بغير سكين فجن عليهم ظلام الغبار واختلط ونزل على منجنيق الشاميين من منجنيقها الغضبان السخط فجعل صنمه القائم جذاذا وقيل له فلم كسر فقال شئ من هذا وشئ من هذا فوقع بعد الصحة فى العطب وتلت عليه النار تبت يدا أبى لهب هذا والجو بظلام القتام ممتلى وابن صبح ينشد ألا أيها الليل الطويل الا انجلى وتابع يبالغ فى القتال والتحريض ويوقع الناس من رمحه ونشابه بالطويل العريض بيت

فعلى التراب من الدماء مساجد * وعلى السماء من العجاج مسوح

فلم تزل الاعمار كالاوقات تنصرم ونار الحرب من سنة ثلاث الى سنة خمس واربعين تضطرم فحين أخذت الاموال فى النفاد والنقوب فى النفوذ واشرفوا على أخذها الان كل محاصر مأخوذ شكت القلعة الى ربها ودخلت نكاية النفوذ الى صميم قلبها فبرزت متبرجات الابراج وأصبحت عيون مراميها سريعة الاختلاج فجاسوا خلال الديار واقتلعوا من

وسط

وسط القلعة وسط النهار فلم يسعه والحالة هذه غير التسليم والقدوم بعد ذلك على رب كريم وكان قتله فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة (السلطان الملك الكامل شعبان) كان الملك الصالح أخاه لابويه فأسند الوصية بالملك اليه فجلس على سرير الملك بعد النبا والتى وعهد اليه الخليفة كعهود أخيه التى ولت وكان شديد الباس صعب المراس ازرق العينين طويل الساعدين محدد الانف يعد من الرجال بالف استماله حب المال واتعب من دواته وحفظته كاتب اليمين وكاتب الشمال فأخذ القطيعة على الاقطاعات وأقام لذلك ديوانا قائم الذات فوقع فى المهالك وأنكرت الناس عليه ذلك فخالف العواذل وقدم الاراذل فضعف الامر واشتط وانحطت البازات وارتفع البط وكان قد خرج عليه يلبغا كاتب الشام فشق العصا وخالف أمره وعصى وكان ذلك باتفاق منه مع جماعة من المصريين وبعض الامراء الشاميين فشق ذلك عليه وأمر بتجهيز العساكر اليه فضرب النفير وجد بالعسكر المسير فحين ضاق بهم متسع الفضاء ووردوا بئر البيضاء ورجع منهم الصادر والوارد وحملوا عليه حملة رجل واحد فحين رأى الغبار ثار وسل البتار نزل من القلعة كجلمود صخر حطه السيل وقال لفرسه الادهم حين وقع فى سوادهم أهلك والليل فالتحم القتال بينهم واشتد وسقط فى يده فأخذوه وقبضوا باليد (وكان) رحمه الله كأخيه الملك الصالح له ميل الى الحسناء وحب المولودات من النساء طالما اخذت السمر بلبه وسكن حب السوداء فى سويداء قلبه فخالف فيها عذل الاشتى وانشد احب لحبها السودان حتى بيت

البسها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

ومن أحسن ماقيل فى هذا النوع قول ابن قلاقس

رب سودا وهى بيضاء معنى * نافس المسك فى اسمها الكافور

مثل حب العيون تحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

وقال احمد بن بكر الكاتب

يامن فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان لليل بدر * فانت للصبح خال

وقال الآخر

يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات
ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات

وقال الآخر مضمنا

وسوداء الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال الآخر

غصن من الابنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم اظل فيه * لاطيب لا أشتهى نهارا

وقول الآخر

يا اسود ايسبح فى بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لهذا الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

وقال بعضهم ولطف

علقتها سوداء مصقولة * سواد عينى صبغه فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجل ذا الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

(السلطان الملك المظفر حاجى) جلس على سرير الملك بعد أخيه المذكور وجرت عليه بعد الامور امور هذا بعد ان أمر ونهى ونهر وصفت له الايام وعند صفو الليالى يحدث الكدر فلم يزل ناعم البال خلى البلبال الى ان مسك جماعة من الكبراء وأولاد الامراء فروع الصغير وقتل الكبير فعامل الناس بالزجر والمد وتجاوز فيهم ذباب سيفه الحد فحام حمام الحمام وذهبت بقية القوم الكرام بيت

فلم يبق الامن حماها من الظبا * لمى شفتيها والثدى النواهد

فلما

فلما بلغت الروح التراقى وعمل عامل سيفه حساب الباقى سلب القرار وطلب الثار وأخذ نمشير القوم فى تحريضهم وخرجوا الى قتال بعضهم وفضيضهم فتأهب لقتالهم ونزل من القلعة الى نزالهم فلما تراءى الجمعان اصطلح عليه الفريقان فدنا منهم حين دنا منه الاجل وقيل لمن لام فيه سبق السيف العذل وكان فى خلال ذلك قد اشتغل بالطيور وعدل عن تدبير الامور والتهى عن الاحكام بلعب الحمام فجعل السطوح داره والشمس سراجه والبرج مناره فأطاع سلطان هواه وخالف من نهاه فبالغ فى المراء وانتصب بكلام الوشاة على الاغراء

ما كلام الوشاة الا كلام * وحمام الاراك الا حمام

(آخر)

هنّ الحمام فان كسرت عيافة * من حائهنّ فانهنّ حمام

وما أظرف قول بعض البغاددة مواليا

حمامات أراك الدوح ماأنتن * ياورق الاغانى كلما نحتن

هذا وأنتن ازواجا فلو كنتن * مثلى فرادى وايم الله ماعشتن

(وقال آخر)

ولقد ألفت على الاراك حمامة * تبدى فنون النوح فى الافنان

ساويتها لما تساوينا ضنى * كل ينوح على غصون البان

وقال المجنون

ولو لم يرعنى الرائحون لراعنى * حمائم ورق فى الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ما تجرى لهنّ دموع

وقال السراج الوراق

و ورقاء أرقنى نوحها * لها مثل مالى فؤاد صريع

تنوح وأكتم سرّى وما * أبوح ودمعى لسرى مذيع

كانا اقتسمنا الهوى بيننا * فمنها النواح ومنى الدموع

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

نسب الناس للحمامة حزنا * وأراها فى الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد * وغنت وما الحزين كذلك

وقال صفى الدين الحلى عفا الله عنه

وبشرت بوفاء النيل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لاتنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت

وقال آخر

حمام الاراك ألا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا
فشقيت بالنوح منا القلوب * وابكيت بالندب منا العيونا
تعالى نقم مأتما للهموم * ونعول اخواننا الظاعنينا
ونسعدكى لكى تسعدينا * فان الحزين يواسى الحزينا

(حكى) ان الامام فخر الدين الرازى كان جالسا يتكلم فى بعض مجالس وعظه فبينما هو فى هذه الحالة واذا ببازى تابع حمامة ولم يزل خلفها حتى ألقت نفسها على الامام فخر الدين ودخلت فى كمه فانصرف عنها البازى فتعجب الناس من ذلك وكان شرف الدين بن عنين حاضرا فقام وأنشد أبياتا منها قوله

جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلمع فى جناحى خاطف
من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وانك ملجأ للخائف

فأجازه الامام فخر الدين بألف دينار (مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو المحاسن حسن) حسن الذات سعيد الحركات له تهجد وصيام ومحبة فى النبى عليه أفضل الصلاة والسلام سمت همته فى النيل الى السماك الرامح وسار سيرة حسنة كسيرة أخيه اسمعيل فهو بقية السلف الصالح كيف لا وقد تجنب اللمم وعدل فى الامم وأصلح بين الذئب والغنم واقتدى بأبيه فى العدل ومن يشابه أبه فما ظلم وكان بهذا الوصف الطائل أحق بقول القائل

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل فوق مافعلوا

فلم تزل دولته ماشيه وأبهة الملك تقول لسرحه هل أتاك حديث الغاشيه فبدت لهم كرامات ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات فغاب كالبدر فى سحابه ورجع كالسيف المسلول من قرابه فخضعت له الرقاب وضرب بين الظلم وقلعته بسور له باب فأنشده الدهر * بغير لذراعيا عبث الذئاب * فأزال عن القلوب الوجل وأصبحت لموشحات مدائحه زجل وأى زجل وقالت قلعته المحروسة لسحب الارزاق ياسارية الجبل

غدا سلطاننا ملك البرايا * رعاه الله يعدل فى الرعايا
حواصل عدل والده حواها * فأخرج من زواياها الخبايا
فيا ملكا كالسيف الحكم رأى * به يقضى اذا اشتبهت قضايا
لئن أمسيت تعرى من عيوب * فقد كسيت بنا تلك العرايا
وان صلت سيوفك فى الاعادى * رأت تلك الصلاة من الخطايا
فمهلا فى التمادى فى الايادى * فقد حزت النهاية فى العطايا
ووجهك حاز كل الحسن طرا * فهل خلفت خلفك من بقايا

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(اولها) الملك العادل مكنوف بعون الله محروس بعين الله (حكى) ان عبد الله ابن طاهر قال لبعض العباد الزهاد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم قال مادام بساط العدل والانصاف مبسوطا فى هذا الايوان ثم تلا قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وكان يقول) لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل وحسن سياسة (ثانيها) دخل شبيب على المهدى فقال احذر يا أمير المؤمنين من يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فأنت تجازى بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فانك فى الحشر لا تجد أحدا يعيرك زينته (وسئل) أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما كان سبب توبتك قال كنت

أضرب غلاما لى فقال فى اذكر الليلة التى يكون صبيحتها يوم القيامة فأثر ذلك الكلام فى قلبى (ثالثها) قال سليمان بن عبد الملك لابى حازم بم النجاة من هذا الامر فقال بشئ هين قال وما هو قال لاتأخذ شيأ الا بحق قال ومن يطيق هذا قال من طلب الجنة وهرب من النار (رابعها) حكى الهمدانى ان سواديا اتى السلطان ملكشاه السلجوقى وهو يبكى فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لاأملك غيرها فلقينى ثلاثة من الاتراك فأخذوه منى ومالى حيلة فقال له أمسك واستدعى فراشا وكان ذلك فى أول قدوم البطيخ وقال له ان نفسى قد تاقت الى البطيخ فطف فى العسكر وانظر من عنده شئ منه فأحضره لى فذهب الفراش وطاف فى العسكر ثم عاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الامير فلان فأحضره وقال من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم وعاد وقال لم أجدهم فالتفت السلطان لصاحب البطيخ وقال هذا مملوكى وقد وهبته لك ان لم يحضر القوم الذين أخذوا بطيخك والله لئن خليته لاضربن عنقك فأخذ بيده وخرج من بين يدى السلطان فاشترى الامير نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد صاحب البطيخ وقال يامولانا السلطان قد بعت المملوك بثلثمائة دينار فقال اوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة (خامسها) اقول وكان هذا السلطان رحمه الله تعالى لهجا بالصيد حتى انه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار وقال انى أخاف الله سبحانه وتعالى من ازهاق الارواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا تصدق بدينار (وخرج) من الكوفة لتوديع الحاج وشيعهم بالقرب من واسط فصاد فى طريقه وحشا كثيرا فبنى هنالك منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء التى صادها فى تلك الطريق والمنارة باقية الى الآن وتعرف بمنارة القرون (سادسها) أقول على ذكر الصيد حكى ابن قتيبة ان كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك

بحق

بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو أنشدتني بحقك أخبرتك قال أنشدك بحق الا ما أخبرتني قال نعم بينما أنا سائر في بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالا فقلت ما أجلسك ههنا قال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالي هذه لاصيب لهم شيأ يكفينا ويعصمنا من الجوع يومنا هذا فقلت أرأيت ان أقمت معك وأصبت لهم شيأ تجعل لي منه جزأ قال نعم فبينما نحن كذلك اذ وقعت ظبية في الحبال فخرجنا نبتدرها فبدرني اليها فحلها وأطلقها فقلت له ما حملك على هذا قال دخلتني رقة لها لشبهها بليلى وأنشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تراعي لانني * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق

(سابعها) حكى صاحب زهر الآداب ان الملك بهرام جور خرج يوما متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه وقد انقطع عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ومر براع فقال له امسك على فرسي وتشاغل بذبح الحمار فحانت منه التفاتة فرأى الراعي يقلع جوهر عذار فرسه وكان العذار ياقوتا فحول بهرام جور وجهه عنه وقال تأمل العيب عيب وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه والعفو من أفعال الملوك وسرعة العقوبة من أفعال العامة (فلما) رجع الى عسكره قال له الوزير أيها الملك السعيد اني أرى جوهر عذار فرسك مقلعا فتبسم وقال أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فمن رأى منكم صاحبنا فلا يطالبه * وعلى ذكر الحمار الوحشي حكى القاضي شمس الدين بن خلكان ان بعض الامراء اصطاد حمار وحش في سنة ستين وستمائة فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود عليه ثم افتقدوا جلده فاذا هو موسوم على أذنه بهرام جور قال وقد أحضره الي فرأيته كذلك وهذا يقتضي ان لهذا الحمار قريبا من ثمانمائة سنة فان بهرام جور كان قبل البعثة الشريفة بمدة متطاولة وحمر الوحش تعيش دهرا طويلا والله أعلم

(الباب السادس)

في ذكر اتفاقات عجيبة وأشياء غريبة اتفقت لمولانا السلطان أعز الله تعالى انصاره ولبعض اخوته وأبيه وعمه الاشرف وجده الملك المنصور لم يسمع بأغرب منها ولم يسبقني أحد الى التنبيه عليها على هذا الوجه

(أقول) مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله تعالى أنصاره وافق والده في سبعة أشياء (الاول منها والثاني) انه وافقه في اللقب الخاص بالملوك واللقب العام لانه الناصر ناصر الدنيا والدين ووالده الناصر ناصر الدنيا والدين (الثالث) انه ترك الملك وعاد اليه ووالده ترك الملك وعاد اليه (الرابع) انه جلس على سرير الملك في المدة الاولى في رابع عشر الشهر ووالده لما جلس على سرير الملك في المدة الاولى كان في رابع عشر الشهر (الخامس) انه عاد الى الملك وجلس على سريره في ثاني شوال ووالده لما عاد الى الملك جلس على سريره في ثاني شوال وهذا اتفاق غريب الى الغاية (السادس) انه وزر له منعم ورب سيف ووالده كذلك (السابع) ان والده أقام مدة بلا وزير ولا نائب ومولانا السلطان أقام مدة بلا وزير ولا نائب (ومن غريب الاتفاق) ان الملك المظفر ككك ولي الملك وهو صغير الى الغاية لان عمره كان خمس سنين وأشهرا وككك لفظ تركي معناه بالعربي صغير كأنه لوحظ فيه حال التسمية انه يلي الملك وهو صغير فكان ذلك من غريب الاتفاق (ومن غريب الاتفاق) ان أخاه السلطان الملك الكامل شعبان كان قد حبس أخاه المظفر حاجي وضيق عليه وأراد ان يبني عليه حائطا فاتفق انهم مدوا السماط على انه يأكل وجهزوا طعام أخيه حاجي اليه ليأكله في السجن فلم يكن الا كلمح البصر اذ خلع الكامل ودخل فأكل طعام أخيه في السجن وخرج أخوه حاجي وجلس على سرير الملك وأكل طعام السماط فسبحان مقسم الارزاق الفعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (ومن غريب الاتفاق) ان بعض الامراء كان السبب في قتل الملك المنصور أبي بكر بعد اخراجه سابع سبعة من اخوته الى قوص

وهم الملك المنصور المذكور وأخوه رمضان ويوسف وشعبان وحاجى واسمعيل فلما قدم الملك الناصر أحمد من الكرك وتولى الملك أمر بقتل الامير المشار اليه سابع سبعة من الامراء المعتقلين معه فى الاسكندرية وهم قوصون وبرسبغا والطنبغا نائب الشام وجركتمر بن بهادر وغيرهم (ومن غريب الاتفاق) ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عزم على التوجه من دمشق الى الديار المصرية وكان الملك المظفر بيبرس هو السلطان يومئذ فلما بلغه حركة الناصر وتوجهه اليه فى عسكر الشام وجماعة من الامراء المصريين الذين نفروا اليه اضطربت احواله وخلع نفسه من الملك فى مصر فى الساعة التى ركب فيها السلطان الملك الناصر من دمشق وذلك فى الثانية من نهار الثلاثاء وهو من غريب الاتفاق فكانت هذه الساعة التى ركب فيها السلطان الملك الناصر كما يقال ساعة سعد ومنها استمر فى الملك الى أن مات على فراشه فى التاريخ المتقدم والله تعالى أعلم (ومن غريب الاتفاق) ما حكى عن الملك الاشرف انه كان جالسا فى بعض الايام فى الميدان والقراء بين يديه يقرؤن القرآن الشريف وكان والده الملك الناصر قلاوون يحاصر طرابلس فقال الملك نصره الله فى هذه الساعة أخذ طرابلس وشاع ذلك عنه وملأ الافواه والاسماع فلم تمض الامسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة فكان الامر كما قال وذلك لامر كشفه الله لذهنه الشريف وأطلعه الله تعالى عليه ان الملوك نقية الاذهان (وحكى) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ الفقيه العالم شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل سير الملك الاشرف الى حصار عكا فى شوال سنة تسع وثمانين كأن قائلا ينشد

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا اليهم * خيلا تدك الجبال دكا
وأقسم الترك منذ سارت * لا يتركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة شهدوا بصحته فسار السلطان الملك الاشرف فى أثناء ذلك

ففتحها الله تعالى على يديه فكان الامر كما قال ولم يترك لهم فيها ولا في بقية السواحل ملكا واستمر ذلك بحمد الله تعالى الى يومنا هذا وفيه يقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

يا بني الاصفر قد حل بكم * نقمة الله التي لا تنفصل
نزل الاشرف في ساحلكم * أبشروا منه بصفع متصل

وقال شمس الدين محمد بن غانم فيه وفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمهما الله تعالى

مليكان قد لقبا بالصلاح * فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لا شك في فضله * ولكن خليل هو الاشرف

(ومن غريب الاتفاق) ما حكي عن وزير الصاحب شمس الدين بن السلعوس رحمه الله تعالى وذلك انه لما صارت اليه الوزارة وتمكن فيها وارسل يطلب أقاربه وأهل محبته ومودته من الشام فكلهم أجابه وحل أبوابه الا شخصا واحدا من أقاربه فانه خاف على نفسه ولم يوافق على الحضور من الشام بل كتب اليه بيتين وهما هذان

تنبت يا وزير الارض واعلم * بأنك قد وطئت على الافاعي
وكن بالله معتصما فاني * اخاف عليك من نهش الشجاعي

فاتفق ان الملك الاشرف قتل وعمل الشجاعي وزارة أخيه الملك الناصر وأمسك ابن السلعوس وجميع أقاربه وأصحابه وأذاقهم النكال ولم يزل يعاقب ابن السلعوس حتى مات فكان الامر كما قال (ومن غريب الاتفاق) ما حكي عن الملك المنصور قلاوون انه خرج في بعض الايام الى قبة النصر هو وجماعة من الامراء على سبيل الفرجة وضربت له صواوين خفاف فاستدعى بخراف من الزمسان البداري فعرضها وقبلها وتخير منها خروفا من أصحها أعضاء وفرق بقية الخراف على الامراء وقال ليقم كل واحد منكم ويذبح خروفه ويشويه بيده مثل ما كنا نعمل في بلادنا وأنا في الاول ثم قام وذبح الخروف الذي اختار وشواه بيده فلما انتهى طلب الامراء

ليأكلوا

ليأكلوا معه ثم أخذ الكتف اليمين وأكلت الامراء بقية الخروف فلما اكل
لحم الكتف جرّده الى ان نقاه وتركه قليلا الى ان جف ثم قام فجعل يلوحه
على النار برفق ثم أخرجه ونظر اليه وأطال فيه التأمل ثم تفل عليه وشمه
وألقاه من يده فسأله بعض الامراء عن ذلك بعد ان سكن غيظه فقال والله
حاشاك قال عن هذا الصبي قبجق لاتخرجه الى الشام فانه متى خرج اليها هرب
وعمل فتنة كبيرة فلم يزل قبجق مؤخرا عنده بهذا السبب مدة حياته فلما مات
وتسلطن بعده ولده الملك الاشرف ومات وتسلطن بعده لاجين بعد خلع
الملك الناصر فاخرج قبجق نائبا عنه الى الشام فجرت بينهما وحشة فهرب
قبجق الى الشرق وعمل الفتنة العظيمة بمجيء قازان وعسكر التتار فجرى على
المسلمين مالا يمكن شرحه فكان الامر كما قال الملك المنصور رحمه الله تعالى
(وكان) قبجق عثره الله فى نفسه فتنة دهن وردمخبا اليوم مشؤم قال القاضى
محيى الدين بن فضل الله العمرى رحمه الله تعالى حكى لى قبجق المذكور بعد
عوده قال لما تلاقينا نحن وأنتم تمتع جيشنا التتار فهم قازان بالهروب
وطلبنى ليضرب عنقى قبل ان يرجع لان خروجه كان برأيى ففطنت لذلك
فلما صرت بين يديه قال لى ايش هذا فضربت له جوكا ثم قلت أنا أخبر
بأصحابنا وهم ليس لهم الاحملة رجل واحد فالقاران يصبر ويصبر كيف ما يبقى
قدامه أحد منهم فثبت فكان الامر كما قلت وخلصت من يده (فلما)
انكسر تم أراد ان يسوق عليكم فعلمت انه متى ساق عليكم ما يبقى منكم أحد
فقلت القاران يصبر فان هؤلاء أصحابنا خباث وربما يكون لهم كمين وقد
انهزموا مكيدة حتى تسوق خلفهم فيردوا علينا ويطلع الكمين وراءنا فوقف
حتى أبعدتم عنا فلولا أنا ماقتل منكم أحد ولولا أنا ما بقى منكم أحد
(أقول) وعلى ذكر الملك المنصور أخبرنى جمال الدين يوسف بن يعقوب
المقدسى قراءة من لفظه ونحن نسمع فى مستهل شهر ربيع الاول سنة ثلاث
وأربعين وسبعمائة بدمشق المحروسة قال أخبرنا شيخنا قاضى قضاة
العساكر المنصورة نور الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد القادر الصائغ

الانصارى الشافعى بقراءتى عليه فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق المحروسة قال حدثنى سيف الدين قليج بن عبد الله الملكى المنصورى وكان من خيار الجند وعقلائهم وأديبهم وأفضلهم وله سؤالات حسنة فى العلوم العقلية والاصول قال بعثنى الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله تعالى الى ملك الغرب بتقدمة وهدية سنية فأقمت عنده فجاءت رسالة الى ملك الغرب من بعض ملوك الفرنج الكبار المعادين للمسلمين انه بعث يطلب من ملك الغرب ان يشفع له فى تزويج ابنه بعض بنات ملوك الفرنج وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا صحبته وكان الملك المستشفع به قبل ذلك معاديا للمسلمين عداوة شديدة ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ولده على ان بعث الى ملك الغرب فى ذلك فاحتاج ملك الغرب الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لى تذهب فى هذه القصية فتمنعت فقال هذا فيه مصلحة للمسلمين والرأى انك تذهب فيه فلم يبرح بى حتى ذهبت وأديت رسالته الى ملك الفرنج وقضيت أربه منه وأقمت عنده لك الفرنج مدة فأعجبه حالى وأحبنى كثيرا وعرض على المقام عنده مبقيا الى على دينى دين الاسلام وان يستطلقنى من الملك المنصور ملك الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك أبدا فأجازنى وأكرمنى فلما أردت الانصراف من عنده قال لى اريد أن أتحفك بأمر عظيم لا يحصل لاحد من المسلمين فى هذا الزمان مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فاخرج صندوقا مصفحا بالذهب ففتحه واخرج منه مقلمة من ذهب ثم اخرج منها كتابا قد زال أكثر حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير فقال أتدرى ما هذا قلت لا فقال هذا كتاب نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ما صلى على أحد من خلقه الى جدى قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك الى الآن وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا من الملوك انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وان هذه الوصية تلقيناها من جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم

ونتبارك

وتبارك به ولا يعرف أحد من النصارى هذا الا نحن ولولا عزتك وكرامتك
عندى وثقتى بعقلك ودينك لما أطلعتك عليه فأخذته وعظمته وتباركت
به ولم أقدر على قراءته لتقطيع أجزاء حروفه من طول البلاء والعتق وجرت
بهذه الرسالة مهادنة بين ملك الغرب والملك الذى بعث اليه ليستشفع به مدة
وكفى الله تعالى المسلمين شرهم

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) أقول ومن غريب الاتفاق الذى ينخرط فى سلك هذا الباب
ماحكاه الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه البداية والنهاية ان رجلا
بمكة شرفها الله تعالى نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من عضده
دملج ذهب زنته خمسون مثقالا فوضعه مع ثيابه فلما فرغ من اغتساله لبس
ثيابه ونسى الدملج ومضى وصار بعد ذلك الى بغداد وبقى مدة سنين بعد
ذلك وأيس منه ولم يبق معه الا شئ يسير فاشترى به زجاجا ليكتسب فيه فبينما
هو يطوف به واذا به قد سقط عن رأسه فتكسر جميعه فوقف يبكى فاجتمع
الناس حوله يتألمون له وقال من جملة كلامه والله يا جماعة الخير لقد ذهب
منى من مدة سنين دملج ذهب عند بئر زمزم زنته خمسون مثقالا ما باليت
لفقده كما باليت لتكسير هذا الزجاج وما ذاك الا ان هذا جميع ما أملكه
فقال له رجل من الجماعة فأنا لقيت ذلك الدملج وأخرجه من عضده ودفعه
اليه فتعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (ثانيها) حكى الشيخ عماد
الدين بن كثير فى تاريخه المذكور أيضا مثل هذه الحكاية فيما ذكر ابن
الساعاتى سنة احدى وخمسين وستمائة ان رجلا كان ببغداد وعلى رأسه
زبادى قاشانى فزلق فتكسرت فوقف يبكى فألم الناس لفقره وحاجته وانه
لم يملك غيرها فأعطاه رجل من الحاضرين دينارا فلما أخذه نظر فيه طويلا
ثم قال والله هذا دينارى أعرفه قد ذهب منى عام أول فشتمه بعض
الحاضرين فقال له ذلك الرجل وما علامة ما قلت قال زنته كذا وكذا
وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا فوزنوه فوجدوه كما ذكر فأخرج له الرجل

ثلاثة وعشرين دينارا كذلك وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه فتعجب الناس من ذلك غاية العجب (ثالثها) حكى عن الامير عز الدين إيدمر السنانى الدوادار انه أنشد القاضى تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبى كاتب السر الشريف عندما خدم بديوان الانشاء فى الايام الظاهرية أول اجتماعه به ولم يكن يعلم اسمه ولا اسم أبيه قول الشاعر

كانت مساءلة الركبان تخبرنى * عن أحمد بن سعيد أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

فقال له القاضى تاج الدين يا مولانا ما تعرف أحمد بن سعيد فقال لا والله فقال المملوك أحمد بن سعيد فتعجبنا من غرابة هذا الاتفاق (أقول) البيتان المذكوران لابن هانئ الاندلسى ورواهما بعضهم لجعفر بن فلاح (رابعها) حكى الشريشى فى شرح المقامات انه كان رجل بالبصرة يعرف دواء الظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر ذلك للخليل بن أحمد فقال أله نسخة فقالوا لا نسخة لم نجدها قال فهل له من آنية يعمله فيها قالوا نعم له آنية يجمع فيها اخلاطا قال فأتونى بها فأحضروها له فجعل يشمها ويخرج نوعا نوعا حتى ذكر خمسة عشر نوعا ثم سأل عن جمعها وتقادرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه للناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة فى كتاب الرجل فيها ستة عشر نوعا لم يهمل منها الاخلاطا واحدا (خامسها) حكى القاضى شمس الدين بن خلكان فى تاريخه قال أخبرنى بعض الفضلاء انه رأى فى مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضى بسر من رأى وهو لا يعرفها فرآها وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف

ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب

وتلفتت

وتلفتت عيني فذخفيت * عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص فسمعه ينشد هذه الابيات فقال أتعرف هذه الابيات لمن فقال لا قال والله انه لصاحب هذه الدار الشريف الرضى فتعجبنا من حسن هذا الاتفاق (ومثل) هذه الحكاية ماذكر الحريرى فى درة الغواص فى أوهام الخواص ان عبيدة الجرهمى عاش ثلثمائة سنة وأدرك الأسلام وأسلم ودخل على معاوية بن أبى سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثنى باعجب مارأيت فى عمرك قال مررت يوما بقوم يدفنون ميتا فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر وأنشدت أبياتا منها

وبينما المرء فى الاحياء مغتبط * اذ صار فى الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

فقال لى رجل منهم أتعرف قائل هذا الشعر فقلت لا فقال ان قائله هذا الذى دفناه الساعة وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه وهذا الذى خرج من قبره هو أمس الناس به رحما وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد حكيت غريبا (سادسها) قال أبو اسحق بن خفاجة الاندلسى كنت أنا وعبد الجليل مارين فى بعض الطرقات فرأينا رأسين من رؤس الفرنج قد قطعا وجعلا على رمح عال فقال لى هل لك أن تعمل فيهما شيأ فقلت فى الحال

ألا رب رأس لاتزاول بينه * وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه فهو خطيب

وسكت فقال عبد الجليل

وينشدنا أنا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان لايزره صاحب أو خليله * فقد زاره نسر هناك وذيب
فها هو أماسنه فهو ضاحك * وها هو أما وجهه فكئيب
يقول حذار الاغترار فربما * أناخ قتيل بى ومر سليب

فقلت له أنت القتيل وأنا السليب قال فما لبثنا ان خرج علينا قطعة من

الفرنج فهربت فكان القتيل وكنت السليب (قال) ابن خاقان فى قلائد العقيان عندذكر هذه الحكاية فما أتم قوله حتى لاح لهما قتام كأنه أغنام فانقشع عن قطعة خيل كقطع ليل فما أجلت الاوعبد الجليل قتيل وابن خفاجة سليب وهذا من أغرب منقول وأصدق مقول (أقول) ومثل هذه الحكاية ما اتفق لى فى طريق مصر وذلك انى كنت أنشأت مقامة وأنا فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وذكرت فيها المنازل من دمشق الى الديار المصرية ووصفت كل منزلة بما يتعلق بها فجاء منها قولى فوصلنا الغرابى وقد نعقت غربانه على الجيف فى تلك الروابى فلم نشعر الا وبنو بياضة أصبحوا بنا محدقين كانوا يقصون الاثر خلفنا فيالله يا للمسلمين ثم انى لما سافرت صحبت معى المقامة المذكورة فلما وصلنا الى المكان المذكور عند الصباح كما ذكرت أصبح حولنا جماعة من بنى بياضة فلما سلم الله تعالى منهم وكفانا شرهم أخرجت المقامة التى كانت معى وأوقفت عليها رفقتى فى الطريق وأعلمت انى تخيلت وقوع مثل هذا وأنا بدمشق فتعجبوا من غرابة هذا الاتفاق وكان من جملة الرفاق فى الطريق القاضى كمال الدين ابن الصائغ قاضى سرمين الآن وفى ذلك أقول

شاهدت فى الرمل أهوالا غرائبها * لاتنقضى مابقى فى الارض ديار
من كل شيخ غدا طرطوره عجبا * كأنه علم فى رأسه نار

(سابعها) حكى سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ان المعتصم ولد فى سنة ثمانين ومائة فى ثامن شهر منها ومات لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس وفتح ثمانية فتوحات ووقف ببابه ثمانية ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة وخلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف ثمانية بنين وثمانى بنات وثمانية آلاف دينار وثمانمائة ألف ألف درهم وثمانين ألف فرس وثمانين ألف جمل وبغل ودابة وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش خاتمه الحمد لله وهما ثمانية أحرف وكانت علمانه

الاتراك

الاتراك ثمانية عشر ألفا وطالعه الثمانية فى كل شئ ويدعى بالمثمن والثمانينى

(أقول) هذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها ومن غريب ما اتفق للمعتصم هذا أيضا انه كان قاعدا فى مجلس انسه والكاس فى يده فبلغه ان امرأة شريفة فى الاسر عند علج من علوج الروم فى عمورية وانه لطمها على وجهها يوما فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجىء اليك الا على أبلق فختم المعتصم الكاس وناوله للساقى وقال والله ما شربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج ثم نادى فى العساكر المحمدية بالرحيل الى غزوة عمورية وأمر العسكر ان لا يخرج أحد منهم الا على أبلق فخرجوا معه فى سبعين ألف أبلق فلما فتح الله عليه بفتح عمورية وطلبها وهو يقول لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيود الشريفة وقال للساقى ائتنى بكاسى المختوم فأتاه به ففك ختمه وشربه وقال الآن طاب الشراب سامحه الله تعالى وعفا عنه وجزاه خيرا

(الباب السابع)

فى تفسير بعض ما أودعته خطبة هذا الكتاب والباب الخامس من الآثار النبوية وغير ذلك على سبيل الاختصار

(قوله) فأصبح من الابدال بعد اخوته النجباء فيه اشارة الى قول الكتانى النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سائحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته قوله على حين فترة الفترة السكون والانقطاع فهو صلى الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت الى وقت رفع عيسى عليه الصلاة والسلام متواترة قوله وتولى يوم الاحزاب نصره وكان فى غزوة الخندق وهى احدى السبع غزوات التى قاتل فيها النبى صلى الله عليه وسلم

لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل الا فى سبع وهى غزوة بدر وأحد والخندق
وبنى قريظة والمصطلق وخيبر والطائف فغزوة بدر الكبرى كانت بعد سنة
وثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأصحابه يومئذ رضى
الله عنهم ثلثمائة وتسعة عشر رجلا وهو عدد قوم طالوت والمشركون من
بين السبعمائة والالف فكان ذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله
تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وغزوة أحد يوم السبت لسبع خلون من
شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة الشريفة وفيها كان جبريل
وميكائيل يقاتلان عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم ويساره اشد القتال
وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة درع ومعهم مائة فرس وثلاثة
آلاف بعير وغزوة بنى قريظة فى ذى القعدة سنة خمس بعد الاحزاب بستة عشر
يوما وفى هذه الغزوة حكم النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فيمن سبى من
المشركين فحكم فيهم ان يقتل كل من جرت عليه الموسى وتسبى النساء وتقسم
الاموال فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق
سبع ارقعة والرقيع السماء فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
الشريفة لسبع ليال بقين من ذى الحجة وأمر بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم
اخدودا فى السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا ارسلا
رسلا فضربت أعناقهم وكانوا بين الستمائة والسبعمائة واصطفى منهم ريحانة
وغزوة خيبر فى السنة السابعة وفيها قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وجميع من قتل فيها من
الصحابة سبعة عشر وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قاتل أيضا بوادى
القرى والغابة وبنى النضير والله أعلم (قوله) وأنزل عليه السبع المثانى السبع
المثانى الفاتحة قيل سميت بذلك لانها سبع آيات بالاجماع وقيل السبع الطوال
البقرة وآل عمران الى الاعراف والسابعة الانفال وقيل براءة وقيل كلاهما
لانه لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل الم وقيل السبع المثانى القرآن كله لانه
سبعة اسباع فسميت المثانى على هذا لما فيهما من الثناء على الله تعالى

اولما

أولمافيها من تكرير القصص والوعد والوعيد فتكون الواو على هذا
القول فى قوله والقرآن مقحمة والقرآن بدل من المثانى فكان السبب
فى نزول هذه الآية الكريمة المشار اليها انه جاء فى يوم واحد من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود قريظة والنضير فيها أنواع الاموال فقال
المسلمون لو كانت لنا هذه الاموال أنفقناها فى سبيل الله وتقوينا بها فنزل
ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الآية والمعنى هذه السبع
المثانى خير من هذه السبع قوافل (قوله) وأسرى به قال الزهرى كان
الاسراء بعد مبعثه الشريف صلى الله عليه وسلم بسبع سنين (وروى)
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه أسرى به ليلة السابع من شهر ربيع الاول
قبل الهجرة بسنة وكذا قال أنس رضى الله عنه (وقوله) سابع سنة خلت
من ملك كسرى الملك العادل قال الزمخشرى فى ربيع الابرار لم يكن
بعد اردشير أعدل من كسرى أنوشروان وهو الذى ولد النبى صلى الله عليه
وسلم لسبع سنين خلت من ملكه وقال ولدت فى زمن كسرى الملك العادل
وكان غيره من دولة الاكاسرة ظلمة يستعبدون الاحرار ويستأثرون عليهم
بكل شئ فلا يجسر أحد منهم أن يطبخ سكباجا ولا يلبس ديباجا ولا ينكح حسناء
ولا يؤدب ولده ولا يمد الى مروأة يده فكان حال الرعية معهم كما قال مسعدة
ابن عمرو للمأمون كل ما يصلح للمولى على العبيد حرام (قوله) فمن أجله
السبع المثانى ثنيت أى كرر ما فيها من القصص والوعد والوعيد وغير
ذلك اعلاما للنبى صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون من اخبار الامم
وأحوال يوم القيامة وغير ذلك وعلى هذا قول من قال ان المراد بالمثانى
القرآن كله وهو قول جماعة من المفسرين (قوله) وفاخرت الشهب الحصى
والجنادل لانها بتسبيحها فى كفه الشريف صلى الله عليه وسلم صار لها فضل
وفخر وشرف على ماسواها وقد ثبت فى الصحيح من معجزاته صلى الله عليه وسلم
ان الحصى سبح فى كفه ثم وضعه فى كف أبى بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله
عنهم فسبح (وقوله) منائحه سبع المنائح جمع منيحة وهى الشاة أو الناقة

تعطيها الغير لك لحلبها ثم يردها عليك وكان للنبي صلى الله عليه وسلم سبع أعنز منائح وهن عجوة وزمرة وسقيا وبركة وورسة واطلال واطراف وكانت أم أيمن ترعاهن وأم أيمن هذه رضى الله عنها احدى الاماء السبع التي للنبي صلى الله عليه وسلم وهن سلمى أم رافع وبركة أم أيمن ورضوى وخضرة وميمونة بنت سعد وريحانة القرظية على الخلاف ومارية القبطية (قوله) وأولاده سبع قال أبو بكر البرقي كان جميع ولد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة ويقال ثمانية القاسم وبه كان يكنى وعبد الله واسمه الطيب الطاهر وقيل الطاهر غير الطيب وابراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكلهم من خديجة الا ابراهيم فانه من مارية القبطية التي أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية للنبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة فلما ولدت له ابراهيم عق عنه النبي صلى الله عليه وسلم بكبش يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق عنه بوزن شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الارض ولما مات دفن بالبقيع ورش عليه الماء وقال له الحق بسلفنا الصالح وقال ان له ظئرا يتم رضاعه في الجنة وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي ولما مات القاسم ثم عبد الله قال العاصي بن وائل السهمي قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر (قوله) وحراسه سبع حراس النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وهم سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص وعباد بن بشر والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة الانصاري وأبو أيوب الانصاري وذكوان فلما نزل والله يعصمك من الناس ترك الحراس وجاء أيضا ان ذكوان بن عبد الله بن قيس من جملة حرسه صلى الله عليه وسلم (وقوله) وضاهاه سبع جاء ان الذين كانوا يشبهون النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وهم الحسن بن علي وجعفر بن أبي طالب وقثم بن العباس وأبو سفيان بن الحرث والسائب بن عبيد ومسلم بن معتب وكابس بن ربيعة بن مالك وهو رجل من أهل البصرة وجه اليه معاوية رضى الله عنه فأحضره وقبل بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس بن مالك

رضى

رضى الله عنه اذا رآه يبكى (قوله) واحياء مافيهما من الموات ببقاء مولانا السلطان محيي العدل فى العالمين الموات الارض الخراب التى هى غير عامرة قال الطحاوى هى ماليس بملك لاحد ولاهى من مرافق البلد وكانت خارجة عن البلد سواء قربت منه أو بعدت وقيل البقعة التى لو وقف الرجل على أدناها من العامر ونادى بأعلى صوته لم يسمعه أقرب من فى العامر اليه (قوله) عامل سيوفه العامل من أسماء الرماح وانما أراد به ههنا اسم الفاعل من عمل يعمل فهو عامل (وقوله) وحرس غرفات قاعاته السبع بلا ثكة السبع الطباق أراد بها القاعات السبع التى بقلعة الجبل المحروسة التى بناها والده السلطان الملك الناصر رحمه الله تعالى (وقوله) واشرق فى لياليها من الثريا جومها السبعة الذى يظهر من الثريا فى الغالب سبعة أنجم وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى منها أحد عشر نجما وفى الظاهر منها الغالب الناس سبعة نجوم قال بعضهم

خليلى انى للثريا لحاسد * وانى على ريب الزمان لواجد
أيجمع منها شملها وهى سبعة * وافقد من أحببته وهو واحد

وقال محب الدين محمد بن عبد الله الكاتب

حكت طبقا فيروزجا ادمية * نثرت عليه سبع حبات لؤلؤ

وقال التهامى فى تشبيه الثريا

وللثريا ركوع فوق أرجلنا * كأنه قطعة من فروة النمر

وقال ابن المعتز

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

وقال أيضا رحمه الله تعالى

زارنى والدجى أحم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وقال أيضا عفا الله عنه

كأن الثريا فى أواخر ليلها * تفتح نور أو لجام مفضض

وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسى رحمه الله تعالى فى فرس أدهم

جال فى أنجم من الحلى بيض * وقميص من الظلام مزال
فبدا الليل ملجما بالثريا * وبدا البرق مسرجا بالهلال

(أقول) هذا التشبيه الذى ماله شبيه والبديع الذى اخجل خمائل الربيع فلو حاوله محاول لم يفز بطائل وانى ذلك واين الثريا من المتناول (وقد ذكرت) ماقيل فى الخيل من المقاطيع الحسنة فى كتابى الموسوم بالتنويه فى محاسن التشبيه (قوله) فى معنى رسالتى أسنى المقاصد هى رسالة مطولة كتبت بها الى السلطان الملك المجاهد صاحب اليمن وسميتها أسنى المقاصد فى مدح الملك المجاهد فتشتمل على مقاطيع فى معنى كافات الشتاء السبعة التى لابن سكرة وغير ذلك ومن جملة هذه الرسالة قصيدة سبعة أبيات فى مدح مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله تعالى أنصاره وهى هذه

لئن أنسيت من يهواك غيرك * فما أحلى على الافواه ذكرك
فقل ماشئت واحكم فى البرايا * فكل الناس يمتثلون أمرك
فيامن راح يعذل مستهاما * على حلو الشمائل ماامرك
ويامن راح يشكو كسر قلب * أرى بالناصر السلطان جبرك
فياملكا علاه كل وصف * يقصر عنه مد الله عمرك
رعاك الله من ملك همام * أعز الله بالتأييد نصرك
اشمر للدعا فى الارض أزرى * وربى فى السما قد شد ازرك

(قوله) فى الباب الخامس فى ترجمة الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر وبذل فيهم الالوف بعد الالوف كان رحمه الله تعالى ملكا معطاء حمل اليه من مال بشتاك واقبغا عبد الواحد ومال برسبغا مايقارب أربعة آلاف ألف درهم وأكثر فوهبها جميعها لخاصكية أبيه الملك الناصر وكان عزمه ان لايغير قاعدة من قواعد جده الملك المنصور ويبطل ما كان أبوه احدثه (قوله)

فى

فى ترجمة الملك الاشرف كجك وكان سابورى الولاية صغيرا الى الغاية سابور المشار اليه هو سابور ذو الاكتاف بن هرمز كان أبوه قد مات وخلفه حملا فوضع التاج على بطن أمه فولى الملك وهو فى بطن أمه واستقلت الوزراء بتدبير الملك فلما بلغ من العمر ست عشرة سنة قتل خلقا كثيرا من العرب وخلع أكتاف كثير منهم فقيل له ذو الاكتاف وكان فى أيام مملكته قد دخل متنكرا الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر وقد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملة الناس وجلس على بعض الموائد وكان قيصر قد أمر مصورا أن يأتيه بصورة سابور فلما أتاه بها أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة فأتى من كان على المائدة التى عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام الى الصورة التى على الكأس وسابور مقابل له على المائدة فتعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام من فوره الى الملك فأخبره بذلك فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت لامر خفته فلم يقبل ذلك منه وأمر بقتله فأقر بنفسه فعند ذلك أمر قيصر فعملت له من جلود البقر صورة بقرة وطبقت عليه جلود البقر سبع طبقات وأدخل سابور فى تلك الصورة وتمام حكايته الى ان خلص وعاد الى ملكه فى كتاب سلوان المطاع فى السلوانة الثانية منه وهى حكاية غريبة مشتملة على أنواع كثيرة من الحكم والفوائد (قوله) وفعل الفخرى مع نائب دمشق فعل الحية بظالم يشير الى حكاية لطيفة ذكرها الصقلى فى كتابه سلوان المطاع أيضا (قوله) ركب الاهوال فى زورته البيت للعكوك فيه اشارة الى سرعة عود السلطان الملك الناصر أحمد رحمه الله تعالى الى الكرك لانه لما جاء الى مصر وجلس على سرير الملك بعد خلع أخيه الملك الاشرف أقام أربعين يوما وكر راجعا الى الكرك وقبل البيت المشار اليه

بى من قد زارنى مكتتما * خائفا من كل شئ جزعا
زائر نم عليه عرفه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا

ركب الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(ومن أحسن) ما قيل فى الزيارة قول الطغرائى رحمه الله تعالى

خبروها انى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى ان تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى مضنى فلم تتمالك * ان امالت على عطفا وجيدا

(قوله) وكان فى اثناء ذلك قد أمسك أميرين كبيرين وهما قطلوبغا الفخرى وطشتمر حمص أخضر وكان قد استنابه بمصر وأخرج الفخرى نائبا الى الشام ثم بعد أيام قلائل أمسك طشتمر نائبه فى مصر وأرسل أمسك الفخرى فى أثناء الطريق قبل وصوله الى دمشق وتوجه الى الكرك وقتلهما هنالك ولم يستحسن الناس ذلك منه لانه قتلهما بغير موجب والله أعلم وفى طشتمر حمص أخضر يقول بعض أهل العصر

طوى الردى طشتمرا بعدما * بالغ فى دفع الردى واحترس
عهدى به كان شديد القوى * أشجع من يركب ظهر الفرس
ألم يقولوا حمصا أخضرا * تعجبوا بالله كيف اندرس

(وقال) فيه الشهاب أحمد بن الاطروش بعد عوده من الشرق

لما رجعت الينا * من شقة البعد والبين
خلنا لك تحنو علينا * يا حمص اخضر بقلبين

(وقال فيه ابراهيم المعمار

أوردت نفسك ذلا * ورد النفوس المهانه
وبالرشا حزت مالا * ملائت منه الخزانه
وكم عليك قلوب * يا حمص اخضر ملانه

(وقوله) جم غفيرا الجم الغفير هو الجماعة الكثيرة من الناس يقال جاؤا جماء غفيرا ممدودا والجماء الغفير أى جاؤا بجموعهم الشريف والوضيع ولم يتخلف منهم أحد وكانت فيهم كثرة (قوله)

احب

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

هذا البيت لبعض العرب وأراد قائله أن محبوبته لما كانت سوداء أحب كل شئ أسود من أجلها كما قال ابراهيم بن سيابة وقد عنف على محبة سوداء

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام مشغوف على من * يراها كلها فى العين خالا

وقد تقدم من الابيات فى هذا المعنى ما فيه الكفاية وبقى حكاية تتعلق بالبيت المذكور لا بأس بذكرها (وهى) ان عريب بفتح العين المهملة وكسر الراء كانت بارعة الحسن كاملة الظرف حاذقة بالغناء وقول الشعر معدومة المثل اشتراها المعتصم بمائة ألف دينار وأعتقها وكانت من جوارى المأمون وكان شديد الكلف بحبها أنشدها فى بعض الايام مداعبا لها

انا المأمون والملك الهمام * على انى بحبك مستهام

أترضى أن أموت عليك وجدا * ويبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا أمير المؤمنين والدك هرون اعشق منك حيث قال

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى أعز مكانى

مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه استطلن أعز من سلطانى

وذلك ان والدك أمير المؤمنين قدم ذكر جواريه فى شعره على نفسه وأنت قدمت ذكر نفسك على من زعمت انك تهواه فقال لها أمير المؤمنين صدقت الا انى منفرد بحبك وحب الرشيد بين ثلاث جوار وشتان بين رتبة الحبين فقالت له اعرفهن يا أمير المؤمنين أما الواحدة فهى فلانة فانها كانت المقصودة بحبه وأما الأخريان فانهما محبوبتان لها فأحبهما لاجلها وقربهما من قلبه بسببها كما قال خالد بن يزيد بن معاوية فى رملة

احب بنى العوام من أجل حبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وكما قال الآخر

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

فهذان أحبا القبيلتين من أجل محبوبتيهما وذا العشق هاتين الوصيفتين تقربا الى قلب معشوقتيهما وهذا المخرج لعذر أمير المؤمنين هرون فأين المخرج لعذر أمير المؤمنين فاستحيا منها وعظم وجده بها لما رأى من فضلها وحسن أدبها وخطابها وسيأتى نظير هذه الحكاية فى خاتمة الباب ان شاء الله تعالى (قوله) وخرجوا الى قتاله بقضهم وقضيضهم اذا خرجوا ولم يتخلف منهم أحد (قوله) سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب فى الامر الذى لا يقدر على ردّه وحكايته معروفة عند أهل الادب (ومن أحسن) ما قيل فى العذل قول بعضهم

يقول لى العاذل فى لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته جنة * قلت ولا قولك قرآن

(وقال وهب) بن جابر الخزاعى

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا منى الذى يلحانى

وقلت أنا فى العذل

وعاذل بالغ فى عذله * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ما تنتهى * قلت ولا بالسيف والوالى

وقال بلدينا شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله تعالى

اسرفت فى اللوم ولم تقتصر * وزدت فى اللوم يا ذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

وقد عقدت للعذل بابا مستقلا فى كتابى ديوان الصبابة وذكرت فيه أشياء مليحة

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(اولها) أقول قد تقدم الوعد بالاتيان بمثل حكاية عريب جارية المأمون وما اشبهها فاقول (حكى) أبو الفرج فى كتاب الاغانى ان دنانير جارية خالد بن يحيى

البرمكى

البرمكي كانت صفراء مولدة من أحسن الناس وجها وأظرفهم وأكملهم أدبا وأكثرهم رواية للشعر وضروب الغناء ولها كتاب مجرد في الاغاني فلما جرى للبرامكة ما جرى أحضرها الرشيد وأمرها ان تغني فقالت يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسي أن لا أغنى بعد سيدى أبدا فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحد بكاء فاندفعت وغنت

يا دار سلمى بنازح السند * من الثنايا ومسقط اللبد

لما رأيت الديار قد درست * أيقنت أن النعيم لم يعد

فرق لها الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت وهي تبكي (قلت) والله معذورة في عدم غنائها وطول بكائها وعنائها لان خالدا البرمكي مولاها رحمه الله تعالى كان يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لانها كانت لا تصومه مما أصابها من العلة الكلبية فكانت لا تصبر على الطعام الساعة الواحدة (ووجد) على حائط بخطها ما صورته النيك على أربعة أقسام فالاول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء والرابع داء وحر الى أير أحوج من أير الى حر وكتبته دنانير جارية البرامكة (ثانيها) أقول من عجيب ما رأيته في موافاة النساء ما حكاه أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني أن هدبة بن خشرم لما أمر معاوية بقتله أرسل الى امرأته في الليل وكان يحبها فقال لها ائتني اجتمع بك وأودعك فأتته في الليل بلباس طيب فحادثها وبكت وبكى ثم كان بينهما ما كان فلما أصبح أخرج من السجن ومضى به ليقتل فالتفت فرأى امرأته فأنشد

اقلي على اللوم وارعى لمن رعى * ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فمالت زوجته الى جزار فأخذت شفرته فجدعت أنفها وجاءته تدمى مجدوعة فقالت له أتخاف أن يكون بعد هذا انكاح فرفس في قيوده وقال الآن طاب الموت فلما أرادوا قتله قال لهم انه بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد

سقوط رأسه فان عقلت فانا قابض رجلي وباسطها ثلاثا فافعل ذلك حين قتل وهذا من العجائب رحمه الله تعالى (وحكى) أبو محمد البطليوسى فى شرح أبيات الجمل ان هدبة كان قد قتل زيادة بن زيد فدفعت فيه أكابر قريش سبع ديات فأبى عبد الرحمن اخو زيادة أن يقبلها وكان لزيادة المقتول ابن لم يبلغ الحلم فقال معاوية ابنه أولى بطلب دمه فليسجن هدبة حتى يبلغ ابنه فربما رضى بالدية فحبس هدبة سبع سنين حتى بلغ المنصور فعرض عليه قبول الدية فأبى الا قتل صاحبه فقتل هدبة كما قدمنا (ثالثها) حكى أن علية بنت المهدى كانت من اجمل الناس واحذقهم بقول الشعر الجيد وتصوغ الالحان الحسنة وكانت لا تغنى ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة للصلاة فاذا طهرت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن وكانت تقول ماحرم الله شيأ الا وجعل فيما حلل بدلا منه فبأى شئ يحتج عاصيه وكانت تهوى خادما من خدام الرشيد اسمه طل فحلف عليها الرشيد أن لا تكلمه ولا تسمى باسمه فامتثلت امره فى ذلك مدة فاطلع الرشيد عليها يوما وهى تتلو آخر سورة البقرة فلما بلغت الى قوله تعالى فان لم يصبها وابل وأرادت أن تقول فطل فقالت فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد فقبل رأسها وعجب من حسن وفائها وقال قد وهبت لك طلا ولا أمنعك بعدها من شئ تريدينه (رابعها) قال ابو الفرج الاصفهانى كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة وبها نشأت وتأدبت واشتراها النطاف ورباها وكانت مليحة الشعر سريعة البديهة تجارى فحول الشعراء وتعارضهم فتنتصف منهم دخل عليها ابو نواس يوما فتحدث ساعة ثم قال لها قد قلت ابياتا قالت هات فقال

ان لى ايرا خبيثا * لونه يحكى الكميتا
لو رأى فى الجو صيدا * لنزا حتى يموتا
أو رأى فى السقف دبرا * لتحول عنكبوتا
او رآه جوف بحر * خلته قد صار حوتا

فقا

فما لبث ان قالت

زوجوا هذا بألف * وأظن الالف قوتا
انني أخشى عليه * داء سوء أن يموتا
بادروا ما حل بالمسكين خوفا أن يفوتا
قبل ان ينتكس الداء * فلا يأتي فيموتا

(خامسها) حكى ان السلطان ملك شاه السلجوقي أحضر اليه مغنية فأعجبته واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان انى اغار على هذا الوجه المليح الجميل أن يعذب بالنار وان الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت فاستدعى بالقاضي والعدول وتزوجها فأقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (سادسها) حكى أن هرون الرشيد حلف في وقت أنه من أهل الجنة فاستفتى العلماء فلم يفته أحد أنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك القاضي الكوفي فاستحضر وسأله فقال هل قدر مولانا أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى فقال نعم كان لبعض الزامى جارية فهويتها وأنا اذ ذاك شاب ثم انى ظفرت بها مرة وعزمت على ارتكاب الفاحشة منها ثم انى فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر فأشفقت من ذلك وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى فقال له ابن السماك أبشر يا أمير المؤمنين فانك من أهل الجنة فقال هرون الرشيد ومن أين لك ذلك فقال من قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فسر هرون بذلك (سابعها) كانت متيم الهاشمية من أحسن الناس وجها وغناء وأدبا من مولدات البصرة فاشتراها على بن هاشم وحظيت عنده فاتفق أنها غضبت عليه في وقت وتمادت في غضبها فاسترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى صبر وانما سمى القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندى العباس بن الاحنف حيث قال

ما أراني الا سأهجر من ليـ * ـس يراني اقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن اخاء * ما أضر الوفاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت (وكتب) الوزير عامر الى هند المغربية يستدعيها الى مجلس أنس بعد قطيعة كانت منها

يا هند هل لك فى زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذاكروا * نغمات عودك فى الثقيل الاول

فكتبت اليه الجواب

ياسيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبى من الاسراع نحوك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

النتيجة التى مدار الكتاب عليها وعين عنوانه ناظرة اليها فى بسط الكلام على ماتقدم ذكره فى المقدمة من هذا العدد وتفصيل مجمله وايضاح مشكله وتشتمل أيضا على سبعة أبواب

الباب الاول فى ذكر قصة يوسف عليه السلام وبسط الكلام على ماوقع فيهما من هذا العدد

(فأقول) وبالله التوفيق نظرت فى سبعة تفاسير قبل الكلام على هذه القصة التى هى قصة يوسف عليه السلام فوجدتها كما أخبر الله تعالى أحسن القصص قال بعض المفسرين انما كانت أحسن القصص لاشتمالها على ذكر المحب والمحبوب وسيرتهما وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين وسير الملوك والسلاطين والعلماء والملائكة والشياطين والتجار والرجال والنساء وذكر مكرهن وحيلهن وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعايش وجل الفوائد التى تصلح للدنيا والآخرة وغير ذلك فمن اول قصة يوسف عليه السلام مارواه وهب رضى الله عنه أن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر غصنا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدائرة واذا بغصن وثب عليها حتى اقتلعها وغلبها فوصف ذلك لابيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة أن احد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له فقصها على أبيه فقال لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك

كيدا

كيدا أى يحتالون على هلاكك لانهم يعلمون تأويلها فيحسدونك وكان
يعقوب عليه السلام يؤثر يوسف بزيادة المحبة والشفقة على اخوته لما يرى
فيه من النجابة وكانت اخوته يحسدونه على ذلك فلما بلغتهم الرؤيا تزايد
حسدهم له حتى قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة أى
جماعة وكانوا أحد عشر سبعة منهم من ليا بنت ليان خال يعقوب وأربعة
من سرمين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين تائبين لله تعالى مما جنيتم عليه فلما ذهبوا به وأجمعوا
أن يجعلوه فى غيابة الجب قيل هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
عليه السلام وأوحينا اليه قيل أوحى الله تعالى اليه فى الصغر كما أوحى الى
يحيى وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبأنهم بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أذهانهم
لطول المدة المبدلة للهيئات والاشكال وذلك معنى قوله تعالى فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون (وكان) دعاؤه حين ألقوه فى الجب مما لقنه جبريل
عليه السلام حين هبط اليه وأقعده على الصخرة سالما لم يضره شئ على
ما حكاه الثعلبى اللهم يا مؤنس كل غريب يا صاحب كل وحيد يا ملجأ كل
خائف يا كاشف كل كربة يا عالم كل نجوى يا منتهى كل شكوى يا حاضر
كل الملا يا حى يا قيوم أسألك أن تقذف رجاءك فى قلبى حتى لا يكون لى
شغل غيرك وأن تجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير
فلما رجعوا الى أبيهم بعد القاء يوسف فى الجب قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق
أى نترامى وتركنا يوسف عند متاعنا أى عند ثيابنا فأكله الذئب وما أنت
بمؤمن لنا أى مصدق لنا أى لسوء ظنك بنا وشدة محبتك ليوسف ولو كنا
صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب أى هو كذب لانه كان دم شاة فألقاه على
وجهه وبكى حتى خضبت لحيته ووجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت
كاليوم ذئبا أحكم من هذا أكل ولدى ولم يمزق عليه قميصه وعلم بهذا السبب
أن الذئب لم يأكله فأعرض عنهم وقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل

والله المستعان على ماتصفون فلما وصل يوسف الى مصر مع السيارة
الذين التقطوه من الجب وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أى وباعوه وقال
الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا اذا تدرب
وراض الامور فينفعنا أو نتخذه ولدا أى نتبناه لانه أعنى قطفير عزيز مصر
الذى اشترى يوسف كان عقيما لايولد له فتفرس فى يوسف الرشد فما
اخطأت فراسته ولهذا قيل أصدق الناس فراسة ثلاثة عزيز
مصر حين قال عن يوسف عليه السلام عسى أن ينفعنا وبنت شعيب حين
قالت عن موسى عليه السلام يا أبت استأجره ان خير من استأجرت
القوى الامين وابو بكر الصديق حين استخلف عمر رضى الله عنهما
وفى القصة عن وهب بن منبه لما قدمت السيارة بيوسف الى مصر دخلوا به
السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا ووزنه
فضة ووزنه مسكا وحريرا فكان وزنه اربعمائة رطل فابتاعه قطفير بهذا
الثمن وكان قطفير عزيز مصر وكان على خزائنها والملك يومئذ بمصر الريان
ابن الوليد بن ثوران من العمالقة قال وهب واقام يوسف فى دار العزيز
(سبع) سنين حتى بلغ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ليواقعها
وغلقت الابواب وكانت (سبعة) ابواب وقالت هيت لك وفى هيت
(سبعة) اقوال للمفسرين ومعناها على قول بعضهم تعال وقال الكسائى
هى لغة لاهل حوران وقعت لاهل الحجاز قال ابو عبيدة سألت شيخا عالما
من أهل حوران فقال انها لغتهم وقيل معناها بالقبطية هلم فقال يوسف
معاذ الله أى أستجير بالله واعوذ به مما دعوتنى اليه انه ربى أى زوجك
قطفير سيدى أحسن مثواى أى منزلى فلا اخونه فى اهله ولقد همت به
وهم بها لولا أن رأى برهان ربه (قال) اهل الحقائق الهم همان هم مقيم
ثابت وهو اذا كان معه عزم وقوة ونية وعقد مثل هم امرأة العزيز والعبد
مؤاخذ به وهم عارض وارد لاثبوت له وهو الخطرة وحديث النفس من
غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير مؤاخذ به مالم يتكلم به

أو يفعله

أو يفعله قال ابن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة قال اذا كانت عزما أخذبها (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فان تركها من أجلي كتبتها له حسنة فحين استبقا الباب وتعلقت بقميصه من خلفه خرقته وواجهها زوجها قطفير ففزعت منه فقالت ما جزاء من اراد بأهلك سوأ يعني الزنا ثم خافت على يوسف أن يقتل فقالت الا ان يسجن أو عذاب أليم أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف كلامها قال هي راودتني عن نفسي ففررت منها فأدركتني فشقت قميصي فجعل العزيز ينظر مرة الى يوسف ومرة اليها متعجبا متحيرا منهما وكان في البيت صبي في المهد تحت السرير عمره (سبعة) أيام فنادى بأعلى صوته بلسان بين أيها العزيز ان لك عندي مما أنت فيه فرجا وقال كما اخبر الله عز وجل عنه ان كان قميصه قد من قبل الآية فلما رأى قطفير قميصه قد من دبر تبين له خيانتها وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه أي هذا الصنع من كيدكن يا معشر النساء ان كيدكن عظيم ثم التفت الى يوسف وقال يوسف أعرض عن هذا ولا تذكره لاحد وقيل لا تكترث به فقد بان عذرك ثم قال لامرأته استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين قال الزمخشري ما كان العزيز الا رجلا حليما وقيل انه كان قليل الغيرة قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسير هذه الآية الكريمة وتربة اقاليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة ثم قال وأين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس أنس وجارية تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث ان جيء برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط مغشيا عليه ومرض مدة حياة ذلك الملك (أقول) واين غيرة هذا الملك على جاريته من غيرة عبد المحسن

الصورى على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة من لوعتى ونحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد * يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها * فان حبيبى من أحب حبيبى

(وقد ذكرت) فى الغيرة أشياء مليحة فى كتابى ديوان الصبابة فلما اشتهرت قصة امرأة العزيز مع يوسف قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وهو لا يرضى بها ولا يميل اليها انا لنراها فى ضلال مبين أى فى هلاك وخسران بين فلما سمعت بمكرهن أى بقولهن ارسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أى هيأت لهن مجالس يتكئن عليها فى كل مجلس جام عسل وأترج وسكينا وقالت بحقى عليكن الا ما أطعمتن فتاى العبرانى يوسف اذا مر بكن الساعة فقلن سمعا وطاعة ثم انها زينت يوسف بأوفى زينة من الجواهر واليواقيت واللباس الفاخر والطيب وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه أى رأينه فى أعينهن كبيرا (وقيل) حضن من الدهش (قال) ابن عباس أمنين وأمذين من الدهش وقطعن أيديهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألما لحز أيديهن لاشتغال قلوبهن لحسنه (قال) وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا به وكمدا عليه وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نزل علينا من السماء نخر علينا (قال) عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم (قال) كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العنق مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير السرة اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت فى كلامه شعاع الشمس من ثناياه لا يستطيع أحد وصفه وكان جبينه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم يوم خلقه الله تعالى وصوره ونفخ فيه من روحه وقيل انه ورث ذلك الحسن من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما رأت امرأة العزيز حال النسوة وما تم عليهن من حسن يوسف

قالت فذلكن الذى لمتننى فيه أى فى حبه ثم صرحت بما فعلت من شدة كلفها به فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع وانما صرحت به لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وقد اصابهن ما اصابهن من رؤيته فقلن له اطع مولاتك وأخذن فى لومه وتعنيفه على عدم اجابتها الى سؤالها فقالت امرأة العزيز ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف السجن على المعصية فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه قيل لو لم يقل السجن أحب الى مما يدعوننى اليه لم يبتل والاولى بالعبد ان يسأل الله العافية ذكره البغوى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات أى الدالة على براءة يوسف عليه السلام من قد القميص وكلام الطفل ليسجننه حتى حين (قال) عكرمة سبع سنين (وفى القصة) انها لما أيست منه دخلت على الريان ملك مصر وكانت ابنة عمه فتزحزح لها فقالت له ياسيدى ان لى عبدا عبرانيا عصانى ووددت لو أذنت فى سجنه لعل تزول المعصية عنه فاذن لها فى سجنه فحينئذ دعت الحدادين وأمرتهم ان يصنعوا له قيدا فقيدته وحملته على حمار وطيف به ونودى عليه هذا جزاء من يعصى سيدته الملكة وهو يقول هذا أيسر وأهون من سرابيل القطران وشرب الحميم وأكل الزقوم وكان قصدها بسجنه استعطافه لعله يوافقها فلما طالت عليه المدة أرادت خروجه فجاء زوجها العزيز وسجد بين يدى الملك الريان وقال بعزتك لا تخرجه أبدا فندمت على سجنه فكانت ترقى على أعلى قصرها وتبكى من العشاء حتى يصبح الصباح وتقول ليت شعرى يا يوسف أنت نائم أم يقظان ليت شعرى كيف حالك فكم مدت عليه اربع سنين (وكان) قد دخل مع يوسف السجن فتيان أى غلامان للريان بن الوليد ملك مصر أحدهما ساقيه والآخر خبازه وكان الملك قد غضب عليهما وسبب ذلك ان جماعة من بطانته أرادوا قتله واغتياله فضمنوا للساقى والخباز مالا جزيلا على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك وعلم الملك بالقصة فحين حضر الطعام والشراب أمر

الملك الساقى ان يشرب من الشراب فشرب فلم يضره لانه كان لم يصنع فيه شيأ الى الآن ثم امر الخباز ان يأكل من الطعام فامتنع فجرب ذلك الطعام فى دابة فهلكت من فورها فحبسهما جميعا ثم قتل الخباز كما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى (اقول) واين فعل هذا الملك من قتله الخباز وتجربته الطعام المسموم فى الدابة حتى هلكت من فعل الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى (وذلك) انه جلس يوما فى مجلس انسه فناوله الساقى كاسا فلما اراد شربها قال له بعض خدامه ياسيدى ان هذا الذى فى يدك مسموم فقال له وما الدليل على صحة قولك فقال التجربة فى الساقى فقال ويحك لا استحل ذلك قال ففى دجاجة قال ان التمثيل بالحيوان لا يجوز ثم امر بصب مافى القدح وقال لا تدخل دارى بعد هذا اليوم ابدا ولم يقطع عنه معلومه حتى مات (وكان) يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى اعبر الاحلام فقال له الساقى أيها العالم انى رأيت كأنى فى بستان واذا انا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الخباز رأيت كأن على رأسى ثلاث سلال من الخبز والاطعمة واذا سباع الطير يأكلن منه فذلك قوله تعالى قال أحدهما انى ارانى اعصر خمرا أى عنبا بلغة عمان يدل على ذلك قراءة ابن مسعود اعصر عنبا أو سماه خمرا باعتبار مايؤل اليه وقال الآخر انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله أى أخبرنا بما يؤل اليه الامر انا نراك من المحسنين العالمين الذين احسنوا العلم فقال يوسف ياصاحبى السجن اما احدكما وهو الساقى فيسقى ربه خمرا كما رأى والثلاثة عناقيد التى رآها ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرجه الملك فيعود الى ما كان عليه واما الآخر وهو الخباز فانه يصلب والسلال الثلاث التى رآها ثلاثة أيام يمكث فى السجن ثم يخرجه الملك فى اليوم الرابع فيصلبه فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود فلما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئا وانما كنا نلعب فقال يوسف

قضى

قضى الامر الذي فيه تستفتيان أى الذى سألتما عنه و وجب الحكم بالذى اخبرتكما به رأيتما ام لم تريا * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا الاول عبارة (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال لاتقصها الا على حبيب أولبيب (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد على عينيه مالم تريا فى النوم كلف ان يعقد بين شعيرتين على جهنم وليس بعاقد ومن استمع لحديث قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الآنك العذاب يوم القيامة فوقع بعد ثلاثة أيام ماذكره يوسف عليه السلام من صلب الخباز وخلاص الساقى الذى قال له اذكرنى عند ربك أى عند سيدك الملك وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه أى نسى الساقى ان يذكر يوسف لربه الملك فلبث فى السجن بضع سنين أى (سبع) سنين على قول الاكثرين قال وهب أصاب أيوب البلاء (سبع) سنين ولبث يوسف فى السجن (سبع) سنين وعذب بختنصر بالمسخ (سبع) سنين (وعن) الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخى يوسف لولا كلمته التى قالها مالبث فى السجن طول مالبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك فقال الله يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا ثم بكى الحسن وقال نخشى اذا انزل بنا امر تضرعنا الى الناس (قال الامام) فخر الدين الرازى فى تفسيره واعلم بأن الاستعانة بالناس جائزة فى الشريعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذا وان كان جائزا لعامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين ان يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وان لايشتغلوا الا بمسبب الاسباب والذى جربته من اول عمرى الى آخره ان الانسان كلما عول فى امر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سبيلا الى البلاء والمحنة والشدة والرزية واذا عول العبد على الله تعالى ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت من اول عمرى الى هذا الوقت الذى بلغت فيه (السابع) والخمسين فعند هذا استقر قلبى على انه لامصلحة للانسان فى التعويل على شئ

سوى الله تعالى (واعلم) ان الله تعالى اذا اراد شيأ هيأ اسبابه بدليل أنه لما دنا فرج يوسف عليه الصلاة والسلام رأى ملك مصر فى النوم (سبع) بقرات سمان خرجن من نهر يابس (وسبع) بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى (سبع) سنبلات خضر قد انعقد حبها و(سبعا) أخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الكهنة وذكرها لهم وهذا المراد بقوله تعالى يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلا نقدر على تأويلها وتعبيرها فكان ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن لان الملك لما شاهد ان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوى شهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد وانه مقدر بنوع من أنواع الشر الا أنه ما علم كيفية الحال فيه والشئ اذا كان معلوما من وجه مجهولا من وجه آخر عظم توق النفس الى تكميل تلك المعرفة وقويت الرغبة فى اتمام الناقص لاسيما اذا كان الانسان عظيم الشان واسع المملكة وكان ذلك الشئ دالا على الشر من بعض الوجوه فبهذا الطريق قوى عزم الملك فى تحصيل العلم بتعبير هذه الرؤيا وان الله تعالى أعجز المفسرين الذين حضروا عنده عن الجواب وعماه عليهم ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام من تلك المحنة فقالوا وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الشرابى ان فى السجن رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز عليه منامين فذكر تأويلهما وصدق فى الكل وما أخطأ فى حرف فان أردت مضيت اليه وجئتك بالجواب فهذا معنى قوله تعالى وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة أى تذكر بعد حين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق افتنا فى (سبع) بقرات سمان يأكلهن (سبع) عجاف (وسبع) سنبلات خضر واخر يابسات فان الملك رأى هذه الرؤيا لعلى أرجع الى الناس أصحاب الملك وأهل مصر لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فقال يوسف تزرعون (سبع) سنين دأبا أى متتابعة كعادتكم فى الزراعة فما حصدتم فذروه فى سنبله لئلا يفسد فهذه (السبع) البقرات السمان الاقليلا مما

تأكلون فادرسوه ثم يأتى من بعد ذلك (سبع) شدادأى قحط أى جدب يأكلن ماقدمتم لهن من الطعام فى السنين (السبع) الخصبة الاقليلا مما تحصنون أى تدخرون للحرث ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أى يمطرون من الغيث وفيه يعصرون من العنب خمرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنا فى قول الاكثرين فلما رجع الساقى وأخبر الملك بما أفتاه يوسف قال ائتونى بهذا الرجل الذى فسر هذه الرؤيا فقالوا انه فى السجن منذ (سبع) سنين فقال ائتونى به على كل حال فلما جاء الرسول الى يوسف وقال له أجب الملك أبى أن يخرج معه وتثبت فى الاجابة لتظهر براءة ساحته مما حبس لاجله وقال للرسول ارجع الى ربك أى الى سيدك فاسئله ما بال النسوة الآية فرجع اليه وأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك باحضار النسوة اللاتى قطعن أيديهن وسألهن عن القصة فعند ذلك قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أى ظهر وتبين أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى فعند ذلك قال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى أى اجعله خالصا فلما خرج يوسف من السجن دعا لاهله بدعوة تعرف بركتها الى يومنا هذا الذى هو من سنة (سبع) وخمسين و (سبع) مائة فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار من كل بلد (وكتب) على باب السجن هذا قبر الاحياء ومنزل البلاء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا وحمل على عجلة الملك وهى عجلة تجرها الفيلة فلما وصل الى باب الملك قال حسبى ربى من دنياى حسبى ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم على الملك بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمى اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك وما هذا اللسان فقال لسان آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب (قال) وهب وكان الملك يعرف (سبعين) لسانا فكلما تكلم الملك بلسان أجابه يوسف بذلك

اللسان فأعجب الملك أمره وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فاجلسه الملك
على سريره وقال أحب أن أسمع تأويل رؤياي من لنطك فاعاد عليه ما تقدم
ذكره وقال صلى الله عليه وسلم أرى ان ترفع الزرع بقصبه وسنبله وتبنى له
المخازن العظمى فيكون القصب والسنبل علفا للدواب وحبه للناس وتأمر
الناس فى السنين الخصبة يرفعون الى اهرامك من طعامهم الخمس فيكفيك
من الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحى
يمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع عند أحد من قبلك فقال
الملك ومن لى بتدبير هذه الامور ولو جمعت أهل مصر جميعا ما أطاقوه ولم
يكونوا فيه أمناء فقال يوسف عند ذلك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ
عليم أى حفيظ بما يصل الى من الطعام عليم بجباية المال فوصف نفسه
بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل
الى امضاء أحكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله
تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب
التولية ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا فولاه الملك ذلك وقال انك
اليوم لدينا مكين أمين أى ذو مكانة ومنزلة أمين على الخزائن ثم ان الملك توجه
وألبسه خاتمه وقلده بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر
والياقوت وروى انه قال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به
أمرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته عليك
اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير وفوض اليه الامر جميعه
وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا
وستون مقرمة وكان الملك قد عزل قطفير فهلك بعد عزله بأيام فتزوج يوسف
امرأته فلما دخل عليها فقال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت
أيها الصديق ان زوجى كان عنينا لا يأتى النساء وكنت أنت من الحسن
والجمال بما لا يوصف فتعتذر اليه بذلك من شدة كلفها به وحبها له فوجدها
عذراء فولدت له ولدين (وروى) انه أحبها أضعاف ما كانت تحبه فى أول مرة

فقال

فقال لها ما شأنك لا تحبيني كما كنت فقالت له لما ذقت محبة الله تعالى شغلتني عن كل شئ وكانت قد اسلمت على يديه هي والملك وخلق كثير فعدل يوسف عليه السلام في الاحكام وأحبه الخاص والعام وكان يركب في كل (سبعة) ايام الى الموكب في مائة ألف من عظماء قوم فرعون فدانت له الملوك وخضعت له الرقاب وذلك معنى قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أي أرض مصر قال البحتري

اما في رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسا فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

فلما استقر حال يوسف دخلت السنون (السبع) المخصبة فامر باصلاح المزارع والفلاحة والزراعة وأمرهم ان يتوسعوا فيها فوق العادة فلما ادركت الغلة أمرهم بجمعها فجمعت ثم بنى لها الحواصل والاهرام فجمعت فيها فضاقت عنها المخازن في أول سنة ولم يزل يفعل ذلك في كل سنة الى ان انقضت (السبع) سنين المخصبة ودخلت (السبع) سنين المجدبة فوقع الغلاء واشتد البلاء وحصل عندهم من الجوع مامنع الهجوع قال بعض الحكماء الجوع والقحط سببان أحدهما أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة والثاني أن يفقد الطعام فلا يوجد فتجوع النفس واجتمع هذان السببان في عهد يوسف فأتته النساء والصبيان ينادون الجوع الجوع فيأكلون ولا يشبعون وفي القصة انه لما دخلت السنون المجدبة كان أول من حصل له الجوع الملك فانتبه نصف الليل ينادي الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فدعا له فابرأه الله ففي السنة الاولى من السنين (السبع) المجدبة فقد كل شئ أعدوه في السنين السبع المخصبة لانهم كانوا يأكلون فلا يشبعون فجعلوا يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة

بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر وفى السنة الثالثة بالمواشى وفى السنة الرابعة بالعبيد والاماء وفى السنة الخامسة بالعقار وفى السنة السادسة باولادهم ونسائهم وفى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا ليوسف فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من هذا فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فقال له الملك الرأى رأيك وأنا تبع لك ومن بعض رعيتك وبما اليك فقال يوسف انى أشهد الله وأشهدك انى قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم وأملاكهم (وروى) أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع فى تلك السنين من الطعام فقيل له اتجوع وفى يدك خزائن الارض فقال اخاف أن أشبع فأنسى الجياع وكان يأمر طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار (وكان) قد نزل بالشام وأرض كنعان التى هى أرض يعقوب عليه السلام من القحط ما نزل بأرض مصر فارسل يعقوب عليه السلام للميرة فحين دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون لانه كان بين رميهم له فى الجب وبين قدومهم عليه (سبعون) سنة وقيل ثمانون سنة فلما سألهم وقال من أنتم فانى أنكر حالكم فقالوا من ارض الشام اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادنا فقالوا والله ما نحن عيون ولكنا اخوة بنو نبى واحد صديق يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا أخ وذهب معنا الى البرية فأكله الذئب وكان له أخ من أمه فأبونا يتسلى به عن أخينا الهالك قال فمن يعلم ان الذى تقولونه حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد قال فأتونى بأخ لكم من أبيكم ان كنتم صادقين فانا أرضى بذلك (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) فعند ذلك جهزهم بجهازهم يعنى حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام (وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم) أى ثمن بضاعتهم (فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون) الى قيل انما فعل يوسف

ذلك

ذلك لانه علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل لانه رأى أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع حاجتهم اليه لؤما فردّه اليهم (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) انا قدمنا على خير رجل مارأينا أشبه بك منه ولا به منك أنزلنا واكرمنا وأحسن البنا ووفى لنا الكيل وأخبروه بالقصة وقالوا يا أبانا (منع منا الكيل) ان لم نذهب باخينا (فارسل معنا أخانا) بنيامين (نكتل وانا له لحافظون) نحفظه أشدّ الحفظ حتى نردّه اليك فقال يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم) اى ثمن بضاعتهم (ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا) أى أى شئ نطلب وراء هذا وفى لنا الكيل وردّ علينا الثمن أرادوا بذلك أن يطيبوا قلب أبيهم (ونمير أهلنا) نشترى لهم الطعام (ونحفظ أخانا) بنيامين اذا أنفذته معنا (ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير) متيسر على من يكاله لنا لسخائه لامشقة فيه فقال لهم أبوهم (لن ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله) أى تحلفون لى بحق محمد خاتم النبيين ان خنتمونى فى ولدى فأنتم منه براء يوم القيامة وهو منكم برئ (فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) أى شاهد فلما أرادوا الخروج (قال) لهم (يا بنى لا تدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وصور حسان وقامات ممتدة (وما أغنى عنكم من الله من شئ) يعنى الحذر لا ينفع من القدر (ان الحكم الا لله) أى الامر والقضاء والتدبير (عليه توكلت) أى اعتمدت (وعليه فليتوكل المتوكلون) وقيل انما أراد دخولهم من أبواب متفرقة لانه بلغه أن يوسف بمصر فأراد أن يتفرقوا لعل أحدا منهم أن يراه فيخبره به فحين دخلوا على يوسف قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به فأمر بأحسن المنازل فزين بأنواع الزينة وجعلت فيه صوانى الذهب مملوأة بالطيب يمينا وشمالا وأقام عن يمينه ألف وصيف وعن يساره كذلك ثم جلس وأمرهم فدخلوا

عليه فاجلسهم وأمر بانواع الاطعمة فحضرت على موائد الذهب فاجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وتذكر في نفسه أن اخى يوسف لو كان حيا لا كلت معه فقال يوسف لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فأجلسه على مائدته ثم انزل كل اثنين في بيت وقال هذا الثانى له يعنى أخاه بنيامين فيكون معى فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ثم (قال انى انا أخوك فلا تبتئس) اى لا تحزن (بما كانوا يفعلون) بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير فلا تعلمهم بشئ مما علمتك به فلما تعارفا وتعانقا ضجت الملائكة في السماء ثم قال يا أخى لا تخف فانى اريد أن آخذك منهم وتبقى عندى حتى نبعث الى أبينا فسأحتال بحيلة في أخذك فلا تحزن ولا يشقن عليك قال افعل ما بدا لك قال فانى أدس صاعى هذا في رحالك ثم انادى عليك بالسرقة ليعينى ذلك على أخذك عندى قال فافعل فذلك قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أى في حكمه لان الملك كان اذا أتى بسارق كشف الجلد عن قرنيه وسمل عينيه (الا أن يشاء الله) يعنى ان يوسف لم يمكنه أخذ أخيه في دين الملك لولا ما أجراه الله على ألسنة اخوته أن جزاء السارق الاسترقاق حيث (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) اى جزاء الموجود في رحله ان يسلم الى المسروق منه وكان ذلك سنة آل يعقوب في السارق فحين امر بتجهيزهم جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين وهى مشربة كان يشرب بها الملك من ذهب مرصعة بالجواهر (ثم استخرجها من وعاء أخيه) بنيامين فلما رأى اخوته ذلك نكسوا رؤسهم حياء منه واعتذروا اليه و (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له) من أبيه وامه (من قبل) أى قبل هذا قيل ان السرقة التى ذكروها عن يوسف عليه السلام أن سائلا جاء فاخذ بيضة من البيت فأعطاها السائل فعيروه بذلك وليس هذا بسرقة سلام الله على نبينا وعليه (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) ثم انهم راودوه وترققوا له و (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) متعلق القلب به (فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين) ان فعلت ذلك (قال

معاذ

معاذ الله) أى أعوذ بالله (ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده * فلما استيأسوا منه) أى أيسوا من أخذ أحدهم عوضا عن أخيهم بنيامين رجعوا الى أبيهم وقالوا (يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) أى للامر الخفى (حافظين) أسرق بالحقيقة أم دس عليه الصواع فى رحله ولم يشعر فقال لهم أبوهم عند ذلك (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه حملتم بنيامين رجاء منفعة فعاد من ذلك شر (فصبر جميل) لا جزع فيه (عسى الله) الآية (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) تحسس فى الخير وتجسس فى الشر (ولا تيأسوا من روح الله) أى لا تقنطوا من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يريد ان المؤمن يرجو فرج الله فى الشدائد والكافر يقنط فى الشدة (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وشكوا اليه حالهم وما حصل عند أبيهم من فراق بنيامين (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) فرق لهم و (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) ثم رفع التاج عن رأسه وكان فيه علامة مثل الشامة ولابيه يعقوب مثلها فحين رأوها (قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) بنيامين (قد من الله علينا) وجمع شملنا بعد ما فرق بيننا (انه من يتق) الزنا (ويصبر) على الغربة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) الصابرين القائمين بطاعته (وفى القصة) أن يعقوب عليه السلام لما قيل له ان بنيامين سرق وأخذ فى سرقته قال لروبيل اكتب باسم الله ابراهيم واسحق ويعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله أما بعد فانا نحن أهل بيت موكل بنا البلاء فأما جدى ابراهيم فألقى فى نار النمرود وأما أبى اسحق فوضعت المدية على نحره ففداه الله بذبح عظيم بعد ان شدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فأتوا بقميصه ملطخا بالدماء وقالوا قد أكله الذئب فبكيت عليه حتى ذهبت عيناى وكان لى ابن هو أخوه من أمه وكنت أتسلى به فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل

بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فارحم ترحم واردد ولدى فان فعلت فالله يجزيك وان لم تفعل والا دعوت عليك دعوة تدرك (السابع) من ولدك فلما وصل الكتاب الى يوسف وقرأه بكى وعيل صبره وعرف اخوته بنفسه فاستحيوا منه واعتذروا اليه مما وقع منهم فى حقه (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) ثم قال لهم مافعل أبى بعدى قالوا ذهبت عيناه من البكا فقال (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين) فقال يهودا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم وأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليه بالقميص فأخبره أنه حى فأفرحه كما أحزنته فسار ثمانين فرسخا فى (سبعة) أيام وكان معه (سبعة) أرغفة زوادة (ولما فصلت العير) يعنى فارقت عريش مصر الى أرض كنعان (قال أبوهم) لولد ولده (انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) أى تسفهونى فى قول مجاهد (وفى القصة) ان الريح استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن تأتيه البشرى فاذن لها فأتته ويروى أن يعقوب سأل البشير كيف تركت يوسف قال ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال لئن تمت النعمة مالى ما أكافئك به على بشارتك الا الدعاء هون الله عليك سكرات الموت ولا جعل لك الى بخيل حاجة فلما التى القميص (على وجهه ارتد بصيرا) بعد ما كان اعمى وقويا بعد ان كان ضعيفا و (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون) من حياة يوسف وأن الله تعالى يجمعنا فقالوا عند ذلك (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) قيل أنه أخر الدعاء الى وقت السحر لان الدعاء بالاسحار لا يحجب فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك فى خروجه اليه فخرج يوسف والملك فى أربعمائة ألف من الجند وركب معهما أهل مصر فلما نظر يعقوب الى الخيل والناس قال يايهودا هذا فرعون مصر قال هذا ابنك فلما دنا كل واحد من صاحبه ترجل يوسف وذهب

ليبتدئ أباه بالسلام فنعه من ذلك لان القادم يسلم أولا فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الاحزان (قال) سفيان لما التقيا عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى وقال يوسف ياأبت بكيت على حتى ذهب بصرك أما تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خفت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك (قال) وهب دخل يعقوب الى مصر وأولاده وهم اثنان وسبعون انسانا من رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والعواجز والزمنى وكانت الذرية ألف ألف ومأتى ألف سوى المقاتلة فلما دخل يوسف بأبيه وأهله الى مصر قال (ادخلوا مصران شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش) أى السرير (وخروا له سجدا) يعنى أباه وخالته واخوته وكان تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الارض لان ذلك لايجوز الا لله تعالى وانما ذلك الانحناء على سبيل التواضع والتعظيم لا على جهة الصلاة والعبادة فعند ذلك قال يوسف (ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل) وهى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين (قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) ولم يقل من الجب مع كونه أول ما ابتلى به لئلا يذكر اخوته مافعلوه به فيكون فى ذلك توبيخ لهم ولما جمع الله عز وجل شمل يوسف بأبيه وأقر عينه بأخيه وأتم له رؤياه وكان موسعا عليه فى دنياه علم أن ذلك لايدوم ولابد من فراقه فأراد نعيما هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا ولم يتمن نبى قبله ولابعده الموت فقال (رب قد آتيتنى من الملك) يعنى ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) أى خالقهما (أنت وليى) أى معينى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) حكى الثعالبى وغيره من المفسرين أن اخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم وأوثقوه بالحبال ثم جاؤا به الى أبيهم وقالوا ياأبانا

هذا الذئب الذي يحل بأغنامنا ويفترسها ولعله الذي فجعنا في أخينا لانشك في ذلك وهذا دمه عليه فقال يعقوب أطلقوه فأطلقوه فبصبص له بذنبه وأقبل يدنو منه فقال له يعقوب ادن فدنا حتى ألصق خده بفخذه فقال أيها الذئب لم فجعتني في ولدي وأورثتني بعده حزناطويلا ثم قال اللهم أنطقه فأنطقه الله تعالى فقال والذي اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ولا مزقت جلده ولا نتفت شعره والله مالي بولدك عهد وانما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته فلا أدري أحي هو أم ميت فاصطادني ولدك وأوثقوني وأحضروني وان لحوم الانبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش والله لا أقمت في بلاد يفعل فيها أولاد الانبياء بالوحوش هكذا فأطلقه يعقوب وقال لبنيه لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم هذا ذئب خرج يتتبع ذمام أخيه وأنتم ضيعتم أخاكم وعلمتم أن الذئب بريء مما جئتم به بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (ثانيها) ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه فكلمته فقالت اني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر رواه البخاري ومسلم وقوله يوم السبع هو بسكون الباء قال ابن الاعرابي (السبع) أرض المحشر (ثالثها) ثبت أيضا في صحيح الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال بينما راع يرعى غنما اذ جاء ذئب فأخذ منها شاة فحال الراعي بينه وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه فقال يا راعي اتق الله تحول بيني وبين رزق رزقني الله عز وجل فقال الراعي العجب من ذئب مقع يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحيرة يحدث الناس أخبار من قد سلف فساق الاعرابي غنمه حتى أتى المدينة فزواها ناحية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه فقال النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم صدقت ثم قال ان من اشراط الساعة ان تكلم السباع الانس والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما احدث أهله أورد أبو عيسى الترمذى بعض هذا الحديث فى جامعه عن سفيان بن الربيع عن أبيه عن القاسم بن الفضل وقال هذا حديث حسن صحيح (أقول) قال القاضى عياض فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى عند ذكر هذا الحديث مانصه وروى حديث الذئب عن أبى هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقف على غنمك وتركت نبيالم يبعث قط أعظم قدرا منه قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ومابينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب أنا ألها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه الغنم ومضى وذكر قصته واسلامه ووجود النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها (رابعها) قال القاضى عياض فى الشفاء أيضا وقد روى مثل هذا ابن وهب أنه جرى لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبنا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوا انتهى أقول

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

إى والله (وقال آخر)

فى الارض آيات فلاتك منكرا * فعجائب الاشياء من آياته

(خامسها) روى عن الشعبى انه قال خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا فقال الاسد للذئب اقسم فقال حمار الوحش للملك والغزال لى والارنب للثعلب قال فرفع الاسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فاذا هو منجدل بين يديه ثم قال للثعلب اقسم هذه بيننا

فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد ويحك ما أقضاك من الذى علمك هذا القضاء فقال القضاء الذى نزل برأس الذئب (سادسها) حكى عن العرب ان الذئب اذا أراد النوم راوح بين عينيه فينام باحدى عينيه فيغمض الواحدة ويفتح الاخرى لتكون حارسة له من شر ما يؤذيه وفى ذلك يقول شاعرهم وهو حميد بن هلال

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * بالأخرى الاعادى فهو يقظان نائم

(وحكى) أيضا ان الارنب ينام وعيناه مفتوحتان وفى ذلك يقول المتنبى

ارانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

وهذا من العجائب (سابعها) حكى ابو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى ان اسدا كان يلازمه ويحضر مجلسه ذئب وثعلب وان الاسد وجد علة فرض بها وتأخر الثعلب أياما ففقده الاسد وسأل عنه من الذئب وقال ما فعل الثعلب فانى لم أره منذ أيام مع ما عرض لى من المرض فانتهزها الذئب ليغرى به الاسد ويفسد حاله عنده ويحمله على مكروه فقال ايها الملك ما هو الا أن وقف على علتك فاستبد بنفسه ومضى فيما يخصه من لهوه وكسبه فبلغ الثعلب ما قاله الذئب فوافى الاسد فلما دخل عليه قال له الاسد ما أخرك عنى مع علمك بعلتى وحاجتى الى كونك بالقرب منى قال أيها الملك لما وقفت على العلة العارضة لك لم يقر لى قرار فجعلت أجول البلاد وأجوب الآفاق الى أن وقفت على ما يشفى الملك من مرضه فقال قد علمت أنك لا تفارق نصيحتى ولا تخرج عن طاعتى فما الذى وقفت عليه مما أشتفى به قال تناولك خصيتى الذئب فانه يبريك حين يستقر فى جوفك فقال أنا عامل هذا فخرج الثعلب وجلس فى دهليز الاسد ووافى الذئب فحين وقف بين يدى الاسد وثب عليه والتقم خصيتيه فخرج الذئب والدم يسيل على فخذيه فلما مر بالثعلب قال له ياصاحب السراويل الاحمر اذا جالست الملوك فانظر كيف تذكر حاشيتهم عندهم (اقول) ومن غريب الاتفاق ما اتفق لابى الفرج المعافى راوى هذه الحكاية أنه قال حججت سنة وكنت بمنى

فى أيام التشريق فسمعت مناديا ينادى يا أبا الفرج فقلت لعله يريدنى ثم قلت
فى الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج فلعله ينادى غيرى فلم أجبه فلما رأى
انه لم يجبه أحد نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت ان اجيبه ثم قلت قد يتفق
ان يكون أحد اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فنادى يا أبا الفرج المعافى بن
زكريا النهروانى فقلت لم أشك فى مناداته اياى اذ ذكر اسمى وكنيتى واسم أبى
وبلدى الذى أنسب اليه فقلت له ها أنا ذا فما تريد فقال لعلك من نهروان
الشرق قلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق الاسم
والكنية واسم الاب وما أنسب اليه وعلمت ان بالغرب موضعا يسمى
النهروان غير النهروان الذى فى العراق حكى هذه الحكاية عند أبى عبد الله
الحميدى وهى من العجائب

الباب الثانى فى بسط الكلام على ما وقع من ذلك فى قصة موسى
عليه السلام وفرعون

(أقول) قد تقدم فى المقدمة ان آخر مناجاة موسى عليه السلام يارب أوصنى
فقال أوصيك بأمك قال سبع مرات ولما استأجر شعيب موسى عليهما السلام
لرعى الغنم قال له ادخل هذا البيت ايت عنده فيه عصى الانبياء عليهم السلام
فخذ منها عصا تطرد بها السباع من غنمك وكان ليلا فدخل فأخذ عصا كان قد
هبط بها آدم من الجنة وتوارثها الانبياء عليهم السلام حتى وصلت الى شعيب
عليه السلام فقال لموسى ردها وخذ غيرها ففعل ذلك فما وقع فى يده غيرها
سبع مرات فعلم ان لها شانا (وقيل) ان ملكا جاء شعيبا فى صورة انسان
فأودعه هذه العصا فأمر شعيب ابنته بان تدفع الى موسى عصا فلم يقع فى يدها
الا هذه العصا سبع مرات فدفعتها الى موسى ثم ندم على ذلك لانها كانت
عنده وديعة فخرج بها موسى فتبعه شعيب وقال ردا العصا فقال هى عصاى
فاختصما الى أول قادم يقدم عليهما فقدم عليهما ملك فى صورة انسان فقال
لموسى ألق العصا فمن أخذها منكما فهى له فألقاها فعالجها شعيب فلم يطقها
فأخذها موسى فعلم شعيب انها له ثم قال له اذا بلغت مفرق الطرق فلا تأخذ

عن يمينك فان هنالك تنينا أخافه عليك وعلى غنمك فأخذت الغنم فى ذلك
الموضع بغير اختياره موسى فجاء فوجده كثير الكلا فنام فجاء التنين فقاتلته
العصا حتى قتلته ثم عادت مكانها فاستيقظ موسى فوجد العصا دامية والتنين
مقتولا فارتاح لذلك وعلم ان للعصا شأنا عظيما ففى آياتها العظيمة ما أخبر الله
تعالى فى قوله تعالى حاكيا عن فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من
الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين أى حية صفراء شقراء فاغرة فاها
بين لحييها ثمانون ذراعا (قيل) وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على
ذنبها واضعة حنكها الاسفل فى الارض والاعلى على سطح القصر الذى فيه
فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث قيل أخذه البطن فى ذلك اليوم
أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم مائة وخمسة وعشرون
ألفا قتل بعضهم بعضا فدخل فرعون البيت وصاح ياموسى خذها وأنا
أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا فنكث
فرعون بعد ذلك وأرسل فى المدائن حاشرين هم الشرط يحشرون الناس أى
يجمعون السحرة من مدائن الصعيد اذ كانت بها أئمة السحرة وهذه المدائن
التى أرسل فرعون فيها من يحشر السحرة وكانت سبع مدائن حكاها
المهدوى فى تفسيره وهى شطا وابوصير وبيا وطنان وارمنت
واتريب وانصنا (قال) الكواشى فى تفسير قوله تعالى ثم أتوا صفا كانوا
سبعين ألف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا كل ألف صف (أقول) فعلى
هذا كانوا سبعين صفا فلما ألقوا سحروا أعين الناس أى صرفوا أعينهم عن
حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر واسترهبوهم أى
أفزعوهم وجاؤا بسحر عظيم لانهم ألقوا حبالا وعصيا فاذا هى حيات كأمثال
الجبال قد ملأت الوادى وركب بعضها بعضا وكانت الارض الملقى فيها ميلا
فى ميل فحين ألقى موسى عصاه سدت الارض وكان اجتماعهم بالاسكندرية
فيقال ان ذنب الحية بلغ من وراء البحيرة ثم فتحت فاها ثلاثين ذراعا فاذا هى
تلقف ما يأفكون أى يكذبون ويزورون على الناس فابتلعت جميع ما القوا

وقصدت

وقصدت الناس فهلك منهم فى الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فلما آمن من السحرة من آمن كما اخبر الله تعالى قال الباقون مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسل الله عليهم الطوفان وفيه سبعة أقوال قيل الطوفان الماء دخل بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمن جلس منهم غرق وكانت بيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة واحدة ودام ذلك عليهم سبعة أيام وقيل الطوفان الموت وقيل الطاعون بلغة اليمن وقيل امر الله طاف بهم فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ما نحن فيه ونحن نؤمن بك فدعا الله فرفع عنهم فما آمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت جميع ما يؤكل حتى اكلت الابواب والسقوف والاخشاب والابواب الحديد والمسامير ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل شئ فاستغاثت القبط بموسى ووعدوه التوبة قال الزمخشرى فى الكشاف فكشف عنهم بعد سبعة أيام وكان موسى عليه السلام قد خرج الى الصحراء وأشار بعصاه شرقا وغربا فرجعت الجراد حيث جاءت فلما انكثوا ولم يرجعوا عما كانوا عليه ارسل الله عليهم القمل وفيه سبعة أقوال للمفسرين قيل القمل السوس الذى يخرج من الحنطة وقيل الذى يخرج من جميع الحبوب وقيل هو جنس من القراد وقيل هو ما لم يطر من الجراد والجراد ما طار وقيل هو الذباب وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل هو البراغيث وقيل القمل بفتح القاف وسكون الميم وقرئ بهما فأكل ما بقى من زرعهم وكان يدخل من بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعامه فيمتلئ فمه قملا ودام ذلك عليهم سبعة أيام فاستغاثوا بموسى عليه السلام فدعا لهم فرفع عنهم فلم يزدادوا الا تكذيبا وقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لانصدقك أبدا فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم ووقعت فى أطعمتهم وكانوا يجلسون فى الضفادع الى رقابهم فاذا تكلم أحدهم

وثب الضفدع فى فيه وكذلك ان أكل أوشرب نخبثت عليهم جميع معيشتهم فبكوا وشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا له هذه المرة نتوب ولا نرجع فأخذ مواثيقهم على ذلك ثم دعا لهم فكشف عنهم بعد ان اقام عليهم سبعة أيام فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل دما وصارت مياههم دما فلا يجدون ماء الادما عبيطا احمر وكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فالذى يلى الاسرائيلى يكون ماء وما يلى القبطى يكون دما حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلى لى الماء فى فيك ثم مجيه فى فى فيصير الماء فى فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مصها صار ماؤها دما فقالوا ياموسى ادع لنا ربك فدعا فكشف عنهم بعد ان اقام عليهم سبعة أيام فعادوا الى عنادهم وكفرهم وفسادهم * آيات مفصلات أى يتبع بعضها بعضا وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد سبعة أيام من السبت الى السبت فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز أى الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا فقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك من اجابة الدعوة لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه أى الغرق اذا هم ينكثون أى ينقضون فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم أى البحر بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * أقول وقبل ذكر قصة فرعون وغرقه نذكر نبذة من سيرته ومبدا ولايته وصفته قال وهب كان فرعون قصيرا طول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع قال ابن المبارك كان فرعون عطارا باصبهان فافلس وركبه الدين فخرج منها هاربا من الدين فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى على باب المدينة حمل بطيخ فسأل عن سعره فقيل له هذا بدرهم فدخل المدينة فسأل عن البطيخ فقيل له كل بطيخة بدرهم فقال من ههنا أقضى دينى فاشترى حملا بدرهم وأتى باب المدينة فنهبه البوابون فما بقى منه

الا واحــدة فباعها بدرهم فقال ماهــذا ماههنا أحد ينظر فى مصالح الناس فقالوا له ملكنا مشغول بلذته وفوض الامور الى الوزير وهو لا ينظر فى شئ فخرج فرعون الى المقابر فجعل لا يمكن أحــدا من الدفن الا بخمســة دراهم فأقام على ذلك مدة لم يعترض له أحد فماتت بنت الملك فقال هاتوا خمسة دراهم فقالوا ويحك هذه بنت الملك فقال هاتوا عشرة دراهم فلم يزل يضعفها الى أن بلغت مائة درهم فأخبروا الملك بحديثه فقال ومن هذا فقالوا عامل الاموات فأرسل الى الوزير فسأل عنــه فانكر حاله فأرسل اليه الملك وقال له من أنت فاخبره بخبر البطيخ وقال ما عملت عامل الاموات الا حتى يصــل اليك خبرى وتحضرنى فأنصحك لتستيقظ لنفســك و لتحفظ ملكك والا ذهب منــك فاستوزره وقتل الوزير فسار فى الناس سيرة حسنة وكان عادلا سخيا يقضى بالحق ولو على نفسه فاحبه الناس فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمانا طويلا حتى مات منهــم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وطغى وقال أنا ربكم الاعلى (قال) قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان الاشل صاحب سارة كان فى زمن الخليل بمصر الثانى الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى (قال) الجوهرى فرعون لقب الوليــد بن مصعب ملك مصر وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنــة وفى الحــديث أحدنا فرعون هــذه الامة يعنى أبا جهل وكانت الــكهنة قد أخبرت فرعون وقالوا له يولد مولود فى بنى اسرائيل يكون هلاكك على يده فأمر فرعون بذبح كل مولود يولد فى بنى اسرائيــل ووكل الشرط مع القوابل كلما ولد مولود ذبحوه واسرع الموت فى مشايخ بنى اسرائيل فقال رؤساء القبط لفرعون قد أمرت بذبح الابناء وقد اسرع الموت فى المشايخ فان دمت على هــذا لم يبق لنا من يخدمنا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد موسى عليه الســلام فى سنة الذبح فلما تلقته القابلة لاح نور بين عينيه فهالها وهابته وقالت لامه احفظى ابنك فهذا هو المطلوب الذى أخبرتنا الــكهنة أنه عدونا لانها كانت قبطية وكانت مصافية لام موسى عليه الســلام فلما أدخلوا عليها

الشرطة وكان التنور يسجر فلفته فى خرقة وألقته فى التنور فلما خرجوا قامت الى التنور فوجدته سالما فألهمها الله تعالى أن صنعت له تابوتا وقذفته فى البحر فساقها القدر الى نهر يأخذ من النيل الى دار فرعون ووافق جلوس فرعون فى ذلك الوقت على البركة ومعه آسية بنت مزاحم فدخل التابوت الى البركة فأمر فرعون باخراجه وفتحه فرآه فرعون فقال عبرانى كيف أخطأه الذبح فأمر بذبحه فقالت له آسية انما امرت بذبح أبناء السنة وهذا أكبر من سنة فدعه عسى أن يكون قرة عين لى ولك ولا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكان لا يولد لفرعون الا البنات فأحبه حبا شديدا بحيث كان لا يصبر عنه لحظة (قال) ابن عباس فذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى فجمعت له آسية المراضع فلم يقبل منها ثديا فقالت مريم أخته وكانت خرجت فى طلبه والفحص عن أمره كما أخبر الله تعالى ودخلت دار فرعون فقالت هل أدلكم على من يكفله أى يرضعه ويضمه قالت اسية نعم فأرسلت الى أمه فجاءته وأعطته ثديها فقبله وجعل يشرب فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها وروى انه أقام سبعة ايام وقال الكواشى ثمانية أيام بلياليهن لا يقبل ثدى مرضعة واخته تعلم بذلك فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم الآية فمكث عند أمه الى أن فطمته ثم ردته فتبناه فرعون وآسية واتخذاه ولدا فلما بلغ أشده واستوى وقتل القبطى وخرج من مدينة مصر خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين واستأجره شعيب لرعى الغنم ثمانى حجج أى سنين وقصته مشهورة كما أخبر الله تعالى فى قوله ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك الآية فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله الى أرض مصر آنس من جانب الطور الايمن نارا أى أبصر (قال) مجاهد انما رأى نورا ولكن وقع الاخبار عما كان فى ظنه فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن أى من جانب الوادى الذى عن يمينه فى البقعة المباركة التى بورك فيها لموسى عليه السلام وبعث فيها نبيا من الشجرة أى ناحيتها وكانت عنابا

ان

ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين الذى جميع الخلائق تحت طاعتى وقهرى وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان أى حية تسير بسرعة ولى مدبرا ولم يعقب لم يلتفت فثم قيل له ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين فلا ينالك مكروه اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص واضمم اليك جناحك من الرهب أى ضع يدك على صدرك ليذهب عنك الرعب من معاينة الحية (قال) مجاهد من فزع من شئ فرد جناحه اليه ذهب عنه الفزع فذانك أى العصا واليد البيضاء برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين (وفى الحديث) مما رواه وهب بن منبه قال دخل موسى عليه السلام فقال له آمن بالله ولك الجنة ولك ملكك فقال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال بينا أنت اله تعبد تصير تعبد فأنف واستكبر وكان فى بدايته ولايته سلك العدل والانصاف وانما أهلكه الله حيث اتخذ بطانة سوء فاسقين مثل هامان وقارون ومن ضارعهما ومعلوم ان الله تعالى اذا أراد بملك سوأ قيض له قرناء سوء ولله در القائل حيث يقول

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى تضل وتردى

(قال) ابن جبير كانت مدة ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة وعشرين سنة لايرى فيها مكروها فلو كان له فى تلك المدة جوع يوم أوحمى ليلة أووجع ساعة لما ادعى الربوبية فلم يزل مخولا فى هذه النعمة حتى أخذه الله نكال الآخرة والاولى (قال) ابن عباس الاولى قوله ماعلمت لكم من اله غيرى الثانية قوله أنا ربكم الاعلى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل نكال الآخرة والاولى تعذيبه فى أول النهار بالماء وفى آخره بالنار (قال) ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه وقد ذكر قوله تعالى فيما حكاه عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون يفتخر فرعون بنهر ما أجراه ما أحسن هذا الكلام وأوقعه فى النفس (وقال)

المهدوى فى تفسيره عن هذه الانهار انها كانت سبعة خلجان خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج بنها وخليج سخا متصلة لاتنقطع و بين الجنات زرع من اول أرض مصر الى آخرها وقد دمر الله تعالى تلك المعالم وطمس على تلك الاموال فقال وهو أصدق القائلين ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (قال) بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم (وقيل) المقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنابر الحسنة وكان فرعون اذا جلس على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها أشراف قومه عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وكان قد استعبد بنى اسرائيل واتخذهم خدما فى الاشغال فطائفة يبنون وطائفة يزرعون وطائفة ينحتون السوارى وطائفة يضربون اللبن وطائفة ينقلون الحجارة والنساء يغزلن الكتان وينسجن والضعفاء جعل عليهم ضريبة يؤدونها فى كل يوم فمن غربت عليه الشمس ولم يؤد ضريبته غلت يمينه فى عنقه شهرا ولما أراد الله هلاك فرعون وخلاص بنى اسرائيل من هذه الشدة أمر موسى عليه السلام أن يسرى بهم من مصر ليلا فأمر موسى عليه السلام قومه ان لا يسرجوا فى بيوتهم الى الصبح فاخرج الله كل ولد زنا فى القبط من بنى اسرائيل اليهم وكل ولد زنا فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى رجع كل الى أبيه والقى الله الموت فى القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا وخرج موسى عليه السلام فى ستمائة ألف وسبعين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخولهم مصر مع يعقوب عليه السلام اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة (قال) ابن عطية فتناسلوا حتى بلغوا فى زمن موسى العدد المذكور فساروا وموسى على ساقتهم وهرون على مقدمتهم وبدز فيهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا فى بنى اسرائيل حتى يصيح الديك فلم يصح فى تلك الليلة ديك فخرج فرعون فى طلبهم وعلى مقدمته

هامان

هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف سوى سائر الشباب وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الالوان (وقيل) كان فى عسكر فرعون مائة ألف حصان من الدهم سوى غيرها من الالوان وكان فرعون فى الدهم (وقيل) كان فرعون فى سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف أصحاب الاعمدة فأوحى الله تعالى الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له فبات يضرب بعضه بعضا خوفا من الله تعالى وانتظارا لامره فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا فاذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا ياموسى كيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا وان دخلنا البحر غرقنا وذلك معنى قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين (فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه ان كنه فضربه وقال انفلق أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريق كالجبل وأرسل الله تعالى الريح على قعر البحار فصار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق لا يرى بعضهم بعضا فخافوا فأوحى الله تعالى الى الماء ان يتشبك فصار الماء شبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا سالمين فلما وصل فرعون الى البحر رآه منفلقا فقال لقومه انظروا الى البحر قد انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه فقالوا ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون أنثى فجاء جبريل فى صورة هامان على فرس أنثى وديق أى حائل فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ واقتحم الخيول خلفه فلما صار آخرهم فى البحر وهم أولهم بالخروج انطبق عليهم طرفا البحر وللم الماء واسود وعلا ضجيجه وتياراته وأمواجه وغرقوا أجمعون فلما ألجم فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو

اسرائيل فجعل جبريل عليه السلام يدس فى فيه من طين البحر ويقول آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وفى القصة أن نيل مصر أمسك عن جريانه فى زمن فرعون فقال القبط له ان كنت ربا فأجر لنا الماء فركب وأمر بجنوده قائدا قائدا وجعلوا يمشون على درجاتهم وتقدم هو حيث لا يرونه ونزل عن فرسه ولبس ثيابا رثة وتضرع الى الله تعالى فأجرى الله تعالى له الماء فأتاه جبريل وهو وحده بفتيا ما يقول الامير فى عبد لرجل نشأ فى نعمته ولا سيد له غيره فكفر نعمته وادعى السيادة فكتب فرعون فيها يقول ابو العباس الوليد بن مصعب بن الريان جزاء العبد الخارج على سيده أن يغرق فى البحر فأخذه جبريل ومر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه واغرقه الله تعالى وذلك فى بحر القلزم من بحار فارس وقيل من بحار مصر والله تعالى أعلم

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(اولها) قيل ان مؤمن آل فرعون كان ابن عم فرعون وهو الذى قال لموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أى يتشاورون فى قتلك فاخرج انى لك من الناصحين (روى) ان رجلين سعيا به الى فرعون وقالا له انه آمن بموسى فامرهما فرعون باحضاره فلما أحضراه قال لهما فرعون من ربكما قالا له أنت فقال للمؤمن من ربك فقال ربى ربهما فتوهم فرعون أنه قصده بهذا القول فقال للساعين سعيتما الى برجل هو على دينى لاقتلنه ثم صلبهما وسلم الرجل المؤمن فذلك معنى قوله تعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فقوبل كل منهما بسوء فعله وانعكست عليه حيلته ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله (ثانيها أقول) وفى معنى هذه الحكاية ما حكى أنه كان لبعض الملوك وزير اذا اصبحه كل يوم يسلم عليه ثم يقول بعد السلام سيجزى المحسن باحسانه وسيكفيك شر المسيء اساءته لا يترك هذا القول كل يوم وكان مقربا عند الملك فحسده حاسد فسعى فى هلاكه بأن اضافه واطعمه طعاما فيه ثوم كثير ثم جاء الى الملك فقال له ان هذا الوزير الذى

قدمته على كل أصحابك قد فضحك بين الناس وأشاع عنك البخر فلما أصبح الصباح جاء الوزير على عادته للسلام على الملك فغطى فمه لئلا يشم الملك منه رائحة الثوم فظن الملك انه غطى فمه لاجل البخر الذى أشاعه عنه فكتب الملك رقعة الى بعض نوابه وقال فيها اذا وصل حامل الرقعة فاقطع رأسه واسلخه واملأ جلده تبنا ثم ختم الرقعة وكانت عادة الملك أن لا يكتب بيده الا رقعة الجوائز العظيمة واعطاها للوزير واوهمه انها جائزة صلة فخرج بها فوجد الحاسد الذى وشى عليه عند الملك واقفا على الباب فقال للوزير ما هذه الرقعة فقال جائزة كتبها لى الملك فقال ادفعها الىّ حتى اذهب فاحصلها واحملها اليك فدفعها اليه فذهب بها ففعل به ما كان مكتوبا فيها فلما جاء الوزير فى اليوم الثانى على عادته للسلام على الملك تعجب الملك منه وسأله عن القصة فذكرها له فقال هل كان بينك وبينه شئ قال لا الا أنه اضافنى واطعمنى طعاما فيه ثوم كثير فلذلك غطيت فمى بالامس عند الملك بعد السلام عليه لا أعلم بينى وبينه غير هذا فقال له الملك صدقت فى قولك كل يوم ان المحسن سيجزى باحسانه وسيكفيك شر المسئ اساءته (أقول) وعلى ذكر هذه الصلة ذكرت ما حكى عن المتلمس وطرفة بن العبد وذلك انهما كانا نادمان الملك عمرو بن هند فهجواه هجوا قبيحا فلم يظهر لهما شيأ من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لهما الى عامله بالحيرة وقيل بالبحرين كتابين وأمره بقتلهما اذا وصلا اليه وأوهمهما أنه كتب لهما بصلة وجائزة فخرجا حتى مرّا فى بعض الطريق بشيخ وهو يحدث ويأكل خبزا ويقتل القمل فى ثيابه فقال المتلمس مارأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال له الشيخ ومارأيت من حمقى أخرج داء وأدخل دواء واقتل عدوا ولكن أحمق منى الذى يحمل حتفه فى يده فاستراب المتلمس وقال لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد أن يعطينا شيأ لاعطانا ولم يكتب لنا الى الحيرة فهلم ندفع كتابينا الى من يقرؤهما الا انهما كانا لا يحسنان القراءة فقال طرفة ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لا افتحنه ولا اكون كمن يحمل حتفه بيده ثم نظر فاذا غلام خرج من الحيرة فقال له أتقرأ

ياغلام فقال نعم فدفع اليه الكتاب فلما نظر اليه قال ثكلت المتلمس أمه واذا في الكتاب اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واذنيه وادفنه حيا فقال لطرفة افتح كتابك فما فيه الامثل مافي كتابي فقال ان كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي وبنو غرصد ورقومي بقتلي فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر هاربا الى الشام ودخل طرفة الحيرة ودفع الكتاب الى العامل وأخبره بما كان من المتلمس فحن عليه لصدقه ودس عليه من أشار عليه بالهروب فلم ينتصح وجاء الى العامل وقال له أظنك ثقلت عليك جائزتي وبخلت بها علي ولم تمتثل ما أمرك به الملك فقال أما اذا كان الامر هكذا فانا أجيزك وأخذه وفعل به ما كان في الكتاب فقطع يديه ورجليه واذنيه ودفنه حيا وطرفة بن العبد هو من أصحاب القصائد واول قصيدته المعلقة قوله

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

(وقد ضمنت) أنا عجز هذا البيت فقلت من مقامة عملتها في الاهرام

لقدبت بالاهرام حول احبة * جفوني بـبردي يابس وتسهد
يقول بها صحبي لبرد جليدها * وهجري لاتهلك أسى وتجلد

ومن قصيدة طرفة المذكور قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تزوده * بتلب ولم تضرب له وقت موعد

(ثالثها أقول) وعلى ذكر ملامة الوزير وهلاك الذي وشى عليه ذكرت ما حكي عن أحمد بن طولون وذلك انه دخل على أبيه يوما وهو صغير فقال بالباب قوم ضعفاء فلو كتبت لهم بشئ فقال ائتني بدواة فذهب فرأى في الدهليز حظية من حظايا أبيه قد خلا بها خادم فأخذ الدواة ولم يتكلم بشئ فخشيت الجارية أن يسبقها الى أبيه طولون فجاءت اليه وقالت أحمد راودني الساعة في الدهليز فصدقها وكتب كتابا الى بعض خدمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مشورة وقال لاحمد اذهب بهذا الكتاب الى فلان فأخذه ومر على الجارية

فقالت

فقالت الى اين فقال الى حاجة مهمة للامير ولم يعلم ما فى الكتاب فدفعته الى
الخادم الذى كان معها وقالت اذهب به وانما قصدت ان يزداد طولون حنقا
على أحمد فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم وبعث به الى طولون
فلما رآه عجب واستدعى أحمد وقال له اصدقنى بالذى رأيت والا قتلتك فأخبره
قصة الجارية فطلب الجارية وقال اصدقينى فحدثته بقصة الخادم فقتلها
وحظى أحمد عنده ونشأ على سيرة حسنة وطلب العلم وسمع الحديث وتنقلت
به الاحوال حتى ولى مصر والشام وكان حكمه من الفرات الى المغرب
وصرف على الجامع المعروف به بين مصر والقاهرة مائة ألف دينار وعشرين
ألف دينار ورتب للعلماء والقراء وارباب البيوت فى كل شهر عشرة آلاف
دينار وللصدقة فى كل يوم مائة دينار وكانت فيه خلال جميلة الا انه كان سفاكا
للدماء ومات فى حبسه ثمانية عشر ألفا وتوفى فى سنة ثمان وستين ومائتين وقيل له
فى المنام ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله تعالى
وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت
أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسألته فقال كان له علينا بعض العدل
فأحببت ان أصله بالقرآن ثم رأيته فى المنام فقال لا تقرأ على شيأ فانه ما تمر على
آية الا وقيل أما سمعت هذه وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر ذكرا
وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك سبعة آلاف ومن
الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل سبعة آلاف فرس ومن البغال
والحمير ستة آلاف رأس ومن الجمال عشرة آلاف ومن الدواب الخاصة به
ثلثمائة ومن المراكب الشوانى الحربية والاغربة مائة مركب وكان له
خاصة فى كل سنة أربعمائة ألف ألف دينار (رابعها) أقول مثل جواب
مؤمن آل فرعون المتقدم ذكره ما اتفق لابن الجوزى رحمه الله تعالى قال
وذلك أنه وقع النزاع بين السنية والشيعة ببغداد فى المفاضلة بين أبى بكر
وعلى رضى الله تعالى عنهما فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج بن
الجوزى فأقاموا شخصا فسأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه

فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته ثم نزل فى الحال لئلا يعاودوه فى ذلك فقال السنية هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه لان ابنته عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبويها كانت تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت الشيعة هو على رضى الله عنه لان فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تحته وهذا من لطيف الاجوبة ولو حصل بعد الفكر التام كان فى غاية الحسن فضلا عن البديهة (خامسها) وسأله أيضا انسان رحمه الله تعالى فقال ما للنار ترى الكوز الجديد اذا صب فيه الماء ينش ويخرج منه صوت فما معنى ذلك فقال له يا ولدى ذلك صوت شكواه فانه يشكو الى برد الماء ما لاقاه من حر النار فقال السائل ما للنار اراه اذا امتلأ ناه لا يبردو اذا انقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل الا على ناقص (سادسها) وأنشد أيضا رحمه الله تعالى فى بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتلى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان وقصد العبث به فقال له يا مولانا وكل ناطقة فى الكون تطربنى فان كان الناطق حمارا فقال له الشيخ أقول له يا حمار اسكت (سابعها) قال رحمه الله تعالى أيضا فى بعض مجالس وعظه ما خلق الله رئيسا فى الخير الا وله مقابل من أهل الشر خلق آدم وابليس والخليل ونمروذ وموسى وفرعون ومحمدا صلى الله عليه وسلم وأبا جهل وهكذا أبدا فقام اليه سائل فقال بالله أنت من يجاريك فقال ولا أحد وهذه كلمة بغدادية معناها ان الذى يجارينى ليس بشئ (وسأله) انسان عن الحسين الحلاج فقال ما يسئل عن الحلاج الا حائك (وقال) له انسان تركت الدنيا وحب الرياسة ما يخرج من قلبى فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم (ومن لطيف) أجوبته أن انسانا قال له كيف نسب قتل الحسين رضى الله تعالى عنه الى يزيد والحسين بكربلاء ويزيد بدمشق فانشده

سهم أصاب ورامية بذى سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

فسبحان من أعطاه سرعة الجواب مع اصابة الصواب (ومن غريب ما يحكى عنه انه حسبت الكراريس التى كتبها مدة عمره فكان ما يخص كل يوم منها سبعة كراريس وهذا من العجائب التى لا يكاد يقبلها العقل وجمعت برايات الاقلام التى كتب بها حديث النبى صلى الله عليه وسلم فحصل منها شئ كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها

(الباب الثالث فى ذكر نبذة يسيرة من أخبار الملوك السالفة بمصر وما كان لبعضهم من السحر والاعمال العجيبة)

(أقول) ذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتاريخ الزمان أنه كان للترك ملوك يقال لهم الخاقانيه وللديلم ملوك يقال لهم الكاسانيه وللفرس ملوك يقال لهم الاكاسرة وللروم ملوك يقال لهم القياصرة وللانباط ملوك يقال لهم النماردة وللعرب ملوك يقال لهم التبابعة وللقبط ملوك يقال لهم الفراعنة بادوا جميعا وانقرضوا سريعا فنسيت أخبارهم ودرست آثارهم فلم يبق لهم حديث يروى ولا تاريخ يتلى قال صاعد فى طبقات الامم ان أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم فى الدهور الخالية والازمان السالفة وكانوا أخلاطا من الناس ما بين قبطى ويونانى وعمليق الا أن أكثرهم قبط وأكثر من ملك مصر الغرباء فصار بعد طوفان نوح بمصر علماء بضروب من العلوم ولا سيما علم الطلسمات والنيرنجيات والكيمياء وطلسماتهم الى الآن باقية لم تنفد وحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت مصر خمسة وثمانين كورة فى كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يعبد منهم الكواكب السبعة سبع سنين يسمونه ماهرا والذى يعبدها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه فاطرا وهذا يقوم له الملك اجلالا ويجلسه الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه ويدخل على الملك فى صبيحة كل يوم ومعه سبعة من الكهنة وجماعة من أرباب الصناعات فيقفون امامه وكل واحد من الكهنة السبعة منفرد بخدمة كوكب لا يتعداه الى

سواه ويسمى بعبد ذلك الكوكب اما عبد الشمس أو عبد القمر أو عبد زحل فيقول الفاطر لاحدهم أين صاحبك يعنى الكوكب الذى هو متكفل بخدمته فيقول له فى البرج الفلانى فى الدرجة الفلانية و يسأل الآخر كذلك فيجيبه حتى اذا عرف مستقر الكواكب السبعة قال للملك ينبغى أن تعمل اليوم كذا وكذا وتجامع فى وقت كذا وكذا وتركب فى وقت كذا وكذا فيقول له جميع ما فيه المصلحة والكاتب بين يديه يكتب جميع ما يقول ثم يلتفت الى أهل الصناعات و يأمرهم بوضع أيديهم فى الاعمال التى يصلح عملها فى الوقت ويؤرخ جميع ما جرى فى ذلك اليوم فى صحيفة وتطوى وتودع فى خزائن الملك وكان الملك اذا عزم على أمر مهم أمر بجمعهم خارج القصر فتصطف لهم الناس فى شوارع المدينة فيأتون ركبانا و بين أيديهم طبول وأنواع الملاهى ويدخل كل واحد منهم باعجوبة (فمنهم) من يعلوه نور كنور الشمس لا يقدر أحد أن ينظر اليه (ومنهم) من يكون على يديه جوهر احمر واصفر وأزرق (ومنهم) من عليه ثوب منسوج بالذهب ومنهم من يكون راكبا اسدا متوشحا بحيات عظيمة (ومنهم) من تكون عليه قبة من نور كل واحد يصنع ما يدل عليه كوكبه الذى يخدمه فاذا قص عليهم الملك أمره ضربوا فيه من الامر ما يتفق وملك مصر (سبعة) من الكهنة وكانت اهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الكاهن الاول) اسمه صسلم وكان كاهنا يعمل الاعمال العجيبة وهو أول من عمل مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس عليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان اول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر احد العقابين فان كان الذكر كان الماء عاليا وان كان الانثى كان الماء ناقصا فيعتدون لذلك (الكاهن الثانى) اسمه اغشامشر من اعماله العجيبة أنه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الاخرى باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم اخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترفع كفة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن السبعة فينظر فيها الى الاقاليم السبعة

فيعرف

فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث فيها من الحوادث وعمل فى وسط
المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها
وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك المرأة فتبرأ من ساعتها وهذا
من العجائب (الكاهن الرابع) عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا
تقرب منها الظالم اختطفته تلك الخطاطيف وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه
وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق
ثبت فى مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينصف من نفسه (الكاهن الخامس)
عمل شجرة من نحاس فكل وحش يصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ
فشبعت الناس فى أيامه من لحوم الصيد والوحش وعمل أيضا على باب المدينة
صنمين عن يمين الباب وعن يساره فاذا دخل أحد من أهل الخير ضحك الصنم
الذى عن يمينه واذا دخل أحد من أهل الشر بكى الذى عن يساره وقيل غيره
عمل ذلك (الكاهن السادس) صنع درهما اذا ابتاع به صاحبه شيأ اشترط
ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته
كلما وجد من الصنف الذى يشتريه لم يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر
فى أيام بنى امية (الكاهن السابع) كان يعمل اعمالا عظيمة من جملتها انه كان
يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم وأقام مدة ثم غاب عنهم وأقاموا بلا
ملك الى ان رأوه فى صورة الشمس وهى فى الحمل فأعلمهم أنه لا يعود اليهم وانهم
يملكون فلانا بعده (أقول) وعلى ذكر هذه الكهنة السبعة وأعمالهم
العجيبة حكى الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار أنه كان بارض بابل سبع
مدائن فى كل مدينة اعجوبة (فى احداها) صورة تمثال الارض فاذا قصر
بعض رعية الملك فى حمل الخراج خرق انهار بلدهم عليهم فى التمثال فلا
يستطيعون سد الخرق حتى يؤدوا ما وجب عليهم وما لم يسد فى التمثال لم يسد
عليهم فى ذلك البلد (وفى الثانية) حوض فاذا أراد الملك أن يجمعهم الى
الطعام وشرابه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض
فيختلط الاشربة ثم تقف السقاة وتسقى فلا يطلع لكل انسان فى قدحه الامن

الشراب الذى جاء به (وفى الثالثة) طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فاذا كان الغائب حيا سمع صوت الطبل وان كان ميتا لم يسمع له صوت (اقول) وعلى ذكر هذا الطبل حكى الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض الدولة العبيدية الرافضة الزاعمة بانها فاطمية حاشا لله وجد فيهما من الامتعة والا آلات والملابس شيأ باهرا وأمرا هائلا فمن ذلك طبل اذا ضرب عليه أحد حصل له خروج ريح من دبره فيتصرف مايجده من القولنج فاتفق ان بعض الامراء الاكراد أخذه فى يده ولم يدر ماشأنه فلما ضرب عليه ضرط فحنق فالقاه من يده على الارض فكسره فبطل فعله وامره قال ابن خلكان كان عبد المجيد بن المنتصر الملقب بالحافظ الفاطمى كثير المرض بالقولنج فعمل له سبرة الديلمى وقيل موسى النصرانى طبلا للقولنج وكان فى خزائنهم ولما ملك السلطان صلاح الدين ديار مصر كسره وقصته مشهورة واخبرنى حفيد شبرماء المذكور ان جده ركب الطبل من المعادن السبعة والكواكب السبعة فى اشرافها كل واحد فى وقته وكانت خاصيته اذا ضرب به انسان خرج الريح من مخرجه ولهذه الخاصية كان ينفع القولنج (وفى الرابعة) مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أى حالة هو عليها كانهم يشاهدونه حاضرا (وفى الخامسة) اوزة من نحاس فاذا دخل المدينة غريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة (وفى السادسة) قاضيان من خشب جالسان على الماء فيأتى اليهما الخصمان فيمشى المحق على الماء ويرسب المبطل فيه (وفى السابعة) شجرة عظيمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها واحد أظلته الى ألف رجل فان زاد على الالف واحد زال الظل عن الكل وعادت الشمس عليهم وجلسوا كلهم فيها (اقول) وبابل التى كانت فيها هذه المدن هى بابل العراق وقيل بأرض الكوفة وجاء فى تفسير قوله تعالى ببابل هاروت وماروت ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بنى آدم الخبيثة فى زمن ادريس عليه

السلام

السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين اخترتهم فى الارض انهم يعصونك فقال
الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم مثل ماركبت فيهم لارتكبتم
ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نعصيك قال الله تعالى
فاختاروا ملكين من أخياركم أهبطهما الى الارض فاختارا الملائكة
هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم فركب الله تعالى فيهما
الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما
عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس
يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم ثم صعدا الى السماء فلم تمر
عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصمت اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من
أجمل الناس وكانت من أهل فارس وكانت ملكة فلما رأياها اخذت
بقلوبهما فراوداها عن نفسها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل
ذلك فأبت وقالت لا سبيل الى ذلك الا ان تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم
وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى
قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفى
أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما
ما قالت لهما بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس بغير الحق
عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا وانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها
فلما فرغا رآهما انسان فقتلاه وقال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله
تعالى الزهرة كوكبا وخير هاروت وماروت بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما معلقان بشعورهما الى يوم القيامة
وقيل رؤسهما منصوبة تحت أجنحتهما وقيل كبلا من أفخاذهما الى اصول
اقدامهما وقيل قد جعلا فى جب قد ملئ نارا وقيل منكسان يضربان
بسياط من حديد (وروى) أن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما
معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين
الماء الا اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال

لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا من أنت قال رجل من الناس قالا من أى أمة قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله واظهرا البشارة والبشاشة فقال الرجل بم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (أقول) وكان اصطلاح ملوك مصر من القبط فى النيروز أن يأتى الملك رجل من الليل قد ارصد لما يفعله ويكون مليح الوجه حسن الشباب طيب الرائحة فيقف على الباب حتى يصبح فاذا اصبح دخل على الملك من غير استئذان ووقف بحيث يراه الملك فيقول له الملك من أنت ومن أين أقبلت واين تريد وما اسمك ولاى شئ وردت وما معك فيقول أنا المنصور واسمى المبارك ومن قبل الله تعالى أقبلت والملك السعيد اردت وبالهناء والسعادة وردت ومعى السنة الجديدة ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وفيه حنطة وشعير وجلبان وذرة وحمص وسمسم وارز من كل واحد سبع سنابل وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدى الملك ثم تدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب المعونة ثم الناس على مراتبهم ثم يقدم للملك رغيف مصنوع من تلك الحبوب كبير موضوع فى سلة فيأكل منه ويطعم من حضره ثم يقول هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد يحتاج ان يجدد فيه ما أخلق الزمان واحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على سائر الاعضاء ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق عليهم ما حمل اليه من الهدايا والتحف

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) كان من عادة الفرس فى عيدهم أن يدهن ملكهم بدهن البان تبركا ويلبس القصب والوشى ويضع على رأسه تاجا فيه صورة الشمس ويكون أول من يدخل عليه الموبذان بطبق فيه اترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وتفاح وعناب وعنقود عنب أبيض وسبع باقات آس قد زمزم عليها ثم يدخل الناس على قدر طبقاتهم بمثل ذلك (أقول) ومن عادة العجم انهم فى أول يوم من سنتهم

يجمعون

يجمعون سبع سينات ويأكلونها وهى السكر والسمسم والسميد والسنبوسج والسماق والسذاب والسفرجل (ثانيها) كان اردشير وانوشروان يأمران باخراج مافى خزائنهما فى المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفرش فيفرق فى الناس على قدر مراتبهم ويقولان ان الملك يستغنى عن كسوة الصيف فى الشتاء وعن كسوة الشتاء فى الصيف وليس من أخلاقهم ان تدخر كسوتهم فى خزائنهم ويساوون العامة فى فعلهم (ثالثها) كتب ملك الهند الى كسرى أنوشروان من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية المحمود السيرة ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة وأهدى اليه ألف رطل من عود يذوب على النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجامًا من الياقوت الاحمر فتحته شبر مملوء درًا وعشرة امنان كافوركالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خدها وكان بين أجفانها لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفراشًا من جلود الحيات أنعم من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكادى مكتوبًا بالذهب الاحمر وهذا الكادى يكون بأرض الهند والصين وهو لون عجيب من النبات له رائحة طيبة تكاتب فيه الملوك من الهند والصين (رابعها) وكتب أيضًا ملك الصين الى أنوشروان (من يعصور) ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور الذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فارسًا من در منضد عينا فرسه من ياقوت أحمر وقائم سيفه من در منضد بالجوهر وثوب صينى فيه صورة الملك فى ايوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدم بايديهم المرازب والصورة منسوجة من الذهب وأرض الثوب لازورد فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها يتلألأ جمالها وغير

ذلك مما تهديه الملوك الى الملوك (خامسها) قوله تعالى فى قصة بلقيس وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون نقل المفسرون فى وصف هذه الهدية أقوالا منها أنها كانت خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة كل لبنة مائة رطل وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وحقة فيها درة ثمينة وخرزة جزعة معوجة الثقب وخمسمائة جارية وخمسمائة غلام وألبستهم لباسا واحدا وقيل البست الغلمان لباس الجواري والبست الجوارى لباس الغلمان وعمدت الى رجل من قومها يقال له المنذر بن عمرو ذى اب ورأى وكتبت معه كتابا فيه نسخة الهدية فقالت فيه ان كنت نبيا بين لنا بين الوصفان والوصائف وأخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا من غير علاج انس ولا جن وامرت الغلمان أن يكلموا سليمان عليه الصلاة والسلام بكلام لين يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن تكلمه بكلام فيه غلاظة يشبه كلام الرجال وقالت للرسول انظر اليه فان نظر اليك نظر مغضب فاعلم بانه ملك فلا يهولنك منظره وان رأيته هشا لطيفا فاعلم بانه نبى مرسل فافهم قوله ورد الجواب كما سمعت فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا نحو سليمان عليه السلام يخبره بالخبر فامر سليمان أن يضربوا اللبنات الذهب واللبنات الفضة وأن يبسطوها فى موضعه الذى هو فيه الى سبعة فراسخ وقيل ثمانية أميال فى مثلها ميدانا واحدا وأن يجعلوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ثم أمر الجن فجاؤه باحسن دواب البر والبحر فجعلوها عن يمين الميدان وشماله وأمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا خاليا على قدر اللبنات اللاتى معهم وجلس هو فى الميدان وحوله الانس والجن والشياطين والطير والوحش قال فلما رأت الرسل ذلك الموضع الخالى من لبنات الذهب والفضة خافوا أن يتهموا فتركوا ما معهم من اللبنات فيه وجعلوا يمرون على كراديس الانس والجن والشياطين وسائر الحيوانات حتى وصلوا الى سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر اليهم بوجه حسن بهيج طلق وقال ماوراءكم فاخبره رئيس القوم الخبر واعطاه كتاب الملكة بلقيس فنظر

اليه

اليه وقال أين الحلقة فجيء بها فقال له جبريل ان فيها درة ثمينة وجزعة معوجة
الثقب فقال ذلك للرسول فقال صدقت فأمر سليمان عليه السلام الارضة
فأخذت شعرة فى فيها ودخلت فى تلك الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر
وجاءت دودة أخرى بيضاء فأخذت خيطا بفيها ودخلت فى ثقب الجزعة حتى
خرجت من الجانب الآخر ثم جمع بين طرفى الخيط وختمه ودفعه اليه ثم ميز بين
الجوارى والغلمان وأمرهم بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية
تأخذ الماء باحدى يديها وتجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما يأخذ من الآنية يضرب به وجهه (وقيل) كانت الجارية تصب الماء
على باطن ساعدها والغلام على ظاهرها فميز بين الجوارى والغلمان ورد
الهدية فلما رجع الرسول الى بلقيس وأخبرها الخبر قالت والله لقد عرفت
انه ليس بملك وما لنا به طاقة وأرسلت اليه انى قادمة عليك بملوك قومى حتى
تنظر ما تدعونا اليه من دينك قال الكواشى فى تفسيره ثم جعلت سريرها
داخل (سبعة) أبواب داخل قصرها وكان قصرها داخل (سبعة)
قصور ثم أغلقت الابواب كلها وجعلت عليها حرسا وأوصتهم بحفظه ثم
ارتحلت الى سليمان عليه الصلاة والسلام فى اثنى عشر ألفا وقيل فى ألوف
كثيرة فلما نزلت على فراسخ من سليمان أراد عرشها قبل أن تصل اليه مسلمة
فيحرم اذ ذاك وقيل ليريها قدرة الله تعالى وما أعطاه لانبيائه من المعجزات
فثم أقبل على جنوده وقال أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى
مسلمين أى مؤمنين طائعين قال عفريت من الجن وهو صخر الجنى أنا آتيك به
ان اخترت قبل أن تقوم من مقامك أى مجلسك الذى تقضى فيه بين الناس
وكان سليمان يقضى بين الناس من طلوع الشمس الى نصف النهار وانى
على ذلك لقوى أمين أى قوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال
سليمان أريد أسرع من ذلك فثم قال الذى عنده علم من الكتاب قيل هو
جبريل عليه السلام وقيل الخضر وقيل آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله
الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى انا آتيك به قبل أن يرتد

اليك طرفك أى بمقدار ماتفتح عينك ثم تغمضها أنا آتيك به وقيل بمقدار ماينتهى طرفك اذا مددته الى مداه والمعنى آتيك به فى أسرع وقت فقال آصف بن برخيا لسليمان مدّ عينك حتى ينتهى طرفك فمدّ سليمان عينيه نحو اليمن فدعا آصف فغار عرش بلقيس ونبع من تحت كرسى سليمان وكانت المسافة بينهما شهرين (قيل) كان الذى دعا به آصف ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها فلما رآه مستقرا عنده ثابتا لديه قد حمل من مارب الى الشام فى أيسر مدّة قال هذا من فضل ربى فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها فعرف سليمان عقلها حيث لم تقر ولم تنكر قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة أى ماء عظيما وقرئ عن رجليها فرآها سليمان أحسن الناس ساقين لكنه رأى عليهما شعرا فصرف وجهه عنها ثم قال انه صرح ممرد من قوارير أى مملس مستو من قوارير أى من زجاج وليس ماء حقيقة ثم دعاها الى الاسلام فاجابت واسلمت وأراد تزوجها لكنه كره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالت بها شعر ساقيها فهى اول من اتخذ النورة فلما تزوجها أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها باليمن ثلاثة قصور لم ير مثلها حسنا وارتفاعا وكان يزورها فى ملكها كل شهر مرة (سادسها) قال الكواشى فى تفسيره بعد ذكر هذه القصة عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أى وقع القول على الكفار وقيل على جميع أهل النار والمراد بالقول العذاب (قال) وروى أنّ الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر أسد وخاصرة هرة وذنب ابل وقرن كبش وقوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وقيل لها وجه رجل وسائرها طير (وقيل) لها زغب وريش وجناحان رأسها مس السحاب ورجلاها فى الارض (وعن) النبى صلى الله عليه وسلم بينما عيسى يطوف بالبيت

فتضطرب

فتضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة معلمة أول مايبدو منها رأسها ذات وبر وريش لايدركها طالب ولا يفوتها هارب معها عصا موسى وخاتم سليمان (وعن) ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال لو أشاء ان أضع قدمى اليوم لفعلت وجاء أنها تختم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون ويقولون لهذا يامؤمن ولهذا ياكافر (وعنه) صلى الله عليه وسلم انما تسم الكافر بين عينيه كافر وتسم المؤمن بين عينيه مؤمن (سابعها) وذكر أيضا فى قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض أنهم ثلاثة أصناف صنف كأمثال الارز الارز شجرة بالشام وصنف طوله مائة ذراع وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا وهذا الصنف لا يثبت له جبل ولا حديد وصنف يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى ولا يمرون بفيل ولا خنزير ولا وحش الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية على أن منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط فى الطول (وعن) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وبنو آدم كلهم جزء واحد (وعن) حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعمائة أمة لايموت الرجل منهم حتى ينظر له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال فيتحصن عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين منهم فلا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس وهلاكهم أن يرسل الله تعالى عليهم الدود فيهلكوا ثم يحملهم طير كأعناق البخت فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى عليهم مطرا فيغسل آثارهم (وجاء) ان الترك سرية خرجوا من يأجوج ومأجوج بالمفازة فسد ذو القرنين دونها فجميع الترك منها (قال) قتادة هم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى

وعشرين وترك واحدة فلذلك سموا تركا وفسادهم فى الارض أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط وقيل كانوا يأكلون الناس فشكوا ذلك الى ذى القرنين فبنى عليهم سدا كما اخبر الله تعالى قيل عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتا ذراع وطوله فرسخ وقيل ان ما بين السدين مائة فرسخ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره أنه رآه فقال كيف رأيته فقال كالبرود المحبرة طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال رأيته وكان الواثق بالله تعالى قد رأى ان السد قد فتح فهاله ذلك وارسل سلاما الترجمان فسار من سامرا الى أن وصل السد وجاء فأخبره بخبره وحكايته ظريفة صحيحة وقد ذكرتها فى كتابى غرائب العجائب وعجائب الغرائب

(الباب الرابع فى بسط الكلام على ما وقع من ذلك فى سيرة الحاكم أحد الخلفاء الفاطميين بمصر وذكر طرف يسير من أموره الشنيعة وأحكامه المخالفة للشريعة)

قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى فى تاريخه البداية والنهاية كان يعنى الحاكم جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وسنذكر شيأ من صفاته القبيحة وسيرته الملعونة اخزاه الله تعالى ولا وقاه شرا كان قبحه الله تعالى كثير التلون فى أقواله وافعاله وكان يروم أن يدعى الالهية كما ادعاها فرعون فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام وكان أمر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوم الناس صفوفا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك فى سائر مملكته حتى فى الحرمين الشريفين وكان اهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتى انه يسجد بسجودهم من فى الاسواق من الرعاع وغيرهم انتهى كلامه (وقال) شيخنا الامام الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخ الاسلام ثم زاد ظلم الحاكم وعن له أن يدعى الربوبية كما فعل فرعون فصار قوم من الجهال اذا رأوه يقولون يا واحد يا أحد يا محيى يا مميت (وادعى) علم الغيب فى وقت وكان يقول فلان قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتى يدخلن الى بيوت الامراء وغيرهم ويعرفنه بذلك فرفعت

اليه فى أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

فحين قرأها سكت عن الكلام فى المغيبات وكان هو وأسلافه من الخلفاء بمصر يدعون الشرف والسيادة ويقولون نحن من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون الافتخار بذلك على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون ابونا على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وأمنا فاطمة رضى الله تعالى عنها وكان الحاكم فى كل سبعة أيام يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السابع

فرماها من يده ولم يتنسب بعدها (وحكى) سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ان المحضر الذى برز من ديوان القادر بالله بالقدح فى الحاكم وفى أنسابه كان منه يشهد من اثبت اسمه ونسبه فى هذا الكتاب من السادة الاشراف والقضاة والعلماء والعدول والاكابر والاماثل ما يعرفونه من نسب الديصانية الكفار نطف الشياطين المنسوبين الى ديصان بن سعد الخرقى شهادة يتقربون بها الى الله تعالى معتقدين ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتموه شهدوا جميعا ان الحاكم بمصر وهو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزى والنكال والاستئصال ابن معد بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله تعالى وانه لما صار الى الغرب تسمى بعبد الله ولقب نفسه المهدى ومن تقدمه من سلفه الانجاس الروافض الكلاب الارجاس عليه وعليهم لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين أدعياء لا نسب لهم فى ولد على بن ابى طالب رضى الله تعالى

عنه ولا يتعاقون منه بسبب وانهم كفار فجار ملحدون زنادقة معطلون وللاسلام جاحدون ولمذهب الثنوية والمجوس معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج واحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الانبياء وادعوا الربوبية وكتب فيه من الاعيان الرضى والمرتضى وأبو حامد الاسفرايني والشيخ أبو الحسن القدوري وجماعة من العلماء ببغداد وأعيانها (أقول) وكانت امور الحاكم متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة فى العلم وانتقام من العلماء وميل الى الصلاح وقتل الصلحاء والغالب عليه السخاء وبخل بالقليل ولبس الصوف (سبع) سنين وأقام سبع سنين يوقد عليه الشمع ليلا ونهارا ثم جلس فى الظلام مدة وقتل من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع ثم محاه بعد مدة وأمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه ونهى عن النجوم وكان مع ذلك يرصدها وبنى جامع القاهرة وجامع راشدة ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم اباحها وهدم قمامة وبنى مكانها مسجدا ثم أعادها كما كانت وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها وكانت افعاله كلها فى هذه النسبة (ومنها) انه كان يعمل الحسبة بنفسه فيدور فى الاسواق على حمار له فمن وجده قد غش فى معيشته أمر عبدا اسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وهذا أمر منكر لم يسبق اليه عثره الله تعالى (ومنها) انه منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا قال القاضى شمس الدين بن خلكان وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر (ومنها) انه أمر بغلق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى مر ليلة بشيخ يعمل النجارة بعد العصر فوقف عليه وقال ألم انهكم عن هذا فقال يا سيدى اما كانوا يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه واعاد الناس الى أمرهم الاول قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى هذا من احكامه الشنيعة وأوامره المخالفة للشريعة وكل ذلك تغيير للرسوم واختبار لطاعة العامة

ليترقى الى ما هو أطم واعم من ذلك لعنه الله تعالى (ومنها) أنه نهى عن أكل الملوخية والجرجير وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية اليها وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوبا الى عائشة رضى الله تعالى عنها وعن ابيها وعذره عثره الله تعالى أنحس من ذنبه ثم انه اطلع على جماعة اكلوا الملوخية فضربهم بالسياط وطاف بهم القاهرة ثم ضرب رقابهم بباب زويلة (ونهى) عن بيع الرطب ثم جمع منه شيأ كثيرا وأحرقه وكان مقدار النفقة على احراقه خمسمائة دينار (ونهى) عن بيع العنب وانفذ شهودا الى الجيزة حتى قطعوا شيأ كثيرا من كرومها ورموها الى الارض وداسوها بالبقر وجميع ما كان فى مخازنها من جرار العسل حملت الى شاطئ النيل وكسرت وقلبت فى البحر وكانت خمسة آلاف جرة (ونهى) عن بيع الزبيب كثيره وقليله على اختلاف أنواعه (ونهى) التجار عن حمله الى مصر ثم جمع منه بعد ذلك شيأ كثيرا وأحرقه (ونهى) عن بيع السمك الذى لا قشر له ثم ظفر بمن باعه فقتله (ومنها) انه أمر النصارى أن يحملوا فى أعناقهم الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر اليهود أن يحملوا فى أعناقهم قرامى خشب زنة الصلبان وأن يلبسوا العمائم السود ولا يكتروا من مسلم بهيمة ثم افرد لهم حمامات وأمرهم أن يدخلوا اليها والصلبان والقرامى الخشب فى أعناقهم وأمرهم فى وقت بالدخول فى الاسلام كرها ثم أمرهم بالعود الى أديانهم فارتد منهم فى سبعة أيام ستة آلاف نفر وخرب كنائسهم ثم أعادها (ومنها) انه كان يعاقب بسلب الالقاب حتى انه يبقى الانسان اذا غضب عليه مدة طويلة لا يدعى الا باسمه وهو مع ذلك فى حزن حتى يرد عليه لقبه فتمكون عنده البشارة العظيمة (ومنها) انه ادعى الربوبية وكتب لهم باسم الحاكم الرحمن الرحيم واجتمع له كثير من الجهال وبذل لهم الاموال ونادوه باسم الاله قال ابن الجوزى فصار قوم من الجهال اذا رأوه يقولون يا واحد يا أحد يا محيى يا مميت وصنف له بعض الباطنية كتابا ذكر فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب

بجامع القاهرة فقصد الناس قتل مصنفه فسيره الحاكم الى جبال الشام فنزل بوادى التيم وناحية بانياس فاستمال الناس وأعطاهم المال واباح لهم الخمور والفروج واقام عندهم مدة يدعوهم الى معتقد الحاكم فأضل منهم خلقا كثيرا وفى وادى التيم قرى كثيرة الى يومنا هذا يعتقدون خروج الحاكم وأنه لابد ان يعود ويمهد الارض وتلك خيالات فاسدة وظنون كاذبة نعوذ بالله منها (وكانت) الاسماعلية يعتقدون أن افعاله لاغراض صحيحة استأثر بعلمها وتفرد بمعرفتها (وحكى) عنه انه كان لايتكتم من القتل حتى انه ركب حماره وجاء الى باب الجامع بمصر فنزل عن حماره واخذ بيده بعض ركبداريته وأرقده وشق بطنه بيده واخرج أمعاءه وغسل يديه وتركه ومضى وأكثر فى وقت من قتل الركبدارية حتى رغبوا أن يخرج اليه من الخزانة سيف ماض فان السيوف النابية تعذبهم وأحرق جماعة من خواصه بالنار وكان يأمر بتكفين من يقتله ودفنه ويلزم اهله بملازمة قبره والمبيت عنده وهو مع هذا القتل العظيم والاذى العميم يركب حماره ويدور وحده فى القاهرة تارة فى البرية وتارة عند الجبل المقطم وغيره والجند على اختلاف طبقاتهم وتباين اجناسهم وهم الترك والديلم والروم ومصامدة وسودان وخدام وصقالبة وغير ذلك وهو فيهم كالاسد الضارى بين البقر فاقام على ذلك مدة الى ان ادعى الالاهية وصرح بالحلول والتناسخ وعن له ان يحمل الناس على ذلك وكان اهل بيته من قبله يعتقدون ذلك ويكتمونه خوفا من تفرق الكلمة (وكان) السبب فى هلاك الحاكم أنه اراد قتل اخته سيدة الملوك وهم ان يرسل اليها القوابل ليتحقق بكارتها وقال لبعض قهارمتها سمعت أنكم تجمعون الجموع وتدخل اليكم الرجال ولابد لى من قتلكم اجمعين وتكرر هذا القول منه مرارا فعلمت أخته سيدة الملوك انه يقتلها لامحالة لما تعلمه من خبث طويته وما أخذته بالصغائر واصراره على الكبائر وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وكانت من النساء المدبرات فأخذت فى تدبير الحيلة والعمل

على

على قتل اخيها الحاكم وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم قد اقبل وعزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به وعرفته أنها اخت الحاكم فعظمها واكرمها فقالت له انت تعلم ما يجرى من أخى فى سفك الدماء وخراب البلاد وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلك وقتلى فقال لها كيف الحيلة فى امره فقالت الرأى عندى ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وأنت تكون المدبر لدولة ولده والوزير له فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار خرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه فى المقطم وكان ابن دواس قد أحضر عشرة عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوه الى الجبل فلما انفرد خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب المواكب والجنائب ففعلوا ذلك سبعة ايام ثم خرج مظفر صاحب المظلة ومعه جماعة فبلغوا الى دير القصر ثم امتنعوا من الدخول فى الجبل فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب المدعو بالقمر وقد قطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فتبعوا أثر الحمار الى أن انتهوا الى المقصبة التى شرقى حلوان فنزل رجل اليها فوجده فيها بثيابه وهى سبع جباب مزررة لم تحل ازرارها وفيها آثار السكاكين فلم يشكوا فى قتله وذلك فى شوال سنة احدى عشرة واربعمائة وفى جبال الشام خلق كثير من المتغالين فى حبه من الحق يعتقدون حياته وانه لابد ان يظهر ويحلفون بغيبة الحاكم لعنه الله تعالى ولعن تابعه آمين

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) من جملة من قتله الحاكم من اهل العلم ابو شامة جنادة اللغوى الهروى من اقليم هراة لما قدم مصر كان من الفضلاء النبلاء حكى عنه المسبحى فى تاريخ مصر انه أراد فى وقت الدخول على الصاحب بن عباد فمنع لشعث زيه ودناءة اطماره ووسخ ثيابه قال فلم ازل اترصد الفرصة الى أن وجدت غفلة من الحجاب فدخلت فجلست بحضرته بقرب الدواة وكان مشغولا يكتب فلما

فرغ من كتابته نظر الى قرآني فقطب وقال قم يا كاتب من ههنا فقلت الكاتب الذي لا يعرف للكتاب ثلثمائة اسم قال فقذبه وأخذ بيدي وقال قم الى ههنا فما يجب أن تكون حيث جلست ورفعني الى جانبه (ثانيها) قدم رجل من سجلماسة يريد الحج فاودع عند رجل من أهل السوق أحسن به الظن ألف دينار فلما عاد من الحج طلب ماله فأنكره وجحده فشكا أمره الى الحاكم سرا فقال له اقعد في السوق تجاه الرجل فاذا مررت عليك فاظهر أني أعرفك فاني سأقف معك وأطيل السؤال عنك وعن حالك فلما فعل ذلك وانصرف الحاكم جاء الرجل الذي عنده الوديعة اليه وأكب على يديه فقبلهما وسأله الصفح وأحضر له الذهب فمضى الى الحاكم وعرفه القصة فاصبح الرجل مقتولا معلقا على دكانه برجليه (ثالثها) كان الحاكم جالسا في بعض الايام وفي مجلسه جماعة من أعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية والقارئ يشير بيده الى الحاكم في أثناء ذلك فلما فرغ قام شخص يعرف بابن المشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة المشددة وفتح الجيم وبعدها راء وكان رجلا صالحا وقرأ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الآية فلما انتهى الى قراءته وسكت تغير وجه الحاكم وأمر له بمائة دينار ولم يعط المقرئ الاول شيأ فلما خرج ابن المشجر قال له بعض أصحابه أنت تعلم خلق الحاكم وما تأمن ان يحقد عليك ويفعل بك سوأ ومن المصلحة ان تغيب عنه فتجهز للحج وركب البحر فغرق فرآه بعض اصحابه في المنام فسأله عن حاله فقال له ما قصر الربان أرسى بنا على باب الجنة (رابعها) أقول وعلى ذكر هذا المنام (روى) عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه رأى رب العزة تبارك وتعالى في المنام تسعا وتسعين مرة ثم قال لئن رأيته تمام المائة لاسألنه بماذا ينجو الخلائق يوم القيامة فرآه وسأله فقال الله سبحانه وتعالى من قال عند الصباح والمساء سبحان الابدي الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد سبحان من رفع السماء بغير عمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له

له كفؤا أحد نجا من عذابي يوم القيامة (خامسها) كان أبو العلاء بن عبد الرحمن من أهل الادب والظرف وكانت به جارية من أحسن النساء وكان يظهر لها ماليس في قلبه وكانت الجارية على الغاية من العشق له والميل اليه فلم يزل الا كذلك حتى ماتت الجارية كلفا ومحبة فيه فذكرها بعد ذلك وأسف عليها وعلى ما كان من تقصيره في حقها واعراضه عنها فرآها ليلة في منامه فجعل يبكي ويتلافاها فأنشدته

أتبكي بعد قتلك لي عليا * فهلا كان ذا اذ كنت حيا

اتسكب دمع عينك لي وفاء * ومن قبل الممات تسي اليا

أقل من البكاء علي واعلم * باني ما أراك صنعت شيا

قال فاستيقظ وقد زال ما به من الغم والاسف عليها وصاح صيحة فارق منها الدنيا (سادسها) حكى عبد الحق في العاقبة مما أبلى الله تعالى به الهادي من المحبة وعاقبه بها هو انه كان مغرما بجارية له اسمها غادر وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين فقال وقع في فكري اني أموت وان أخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به انني اذا مت لا تتزوج بها فرضي بذلك وحلف ايمانا غليظة ثم قام ودخل على الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هرون الخلافة فطلب الجارية فقالت كيف تصنع في الايمان التي حلفت بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت من قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذ انتبهت فزعة مذعورة فقال لها هرون ما بالك فديتك فقالت رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم وأنشدني

أخلفت وعدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد * ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر

(قالت) ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي مانسيت منها كلمة فقال هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها وقد ذكرت لهذه الحكاية اشباها ونظائر في كتابي ديوان الصبابة (سابعها) حكى القاضي شمس الدين بن خلكان وغيره من ارباب التاريخ عن دلف بن أبي دلف أنه قال رأيت في المنام آتيا أتاني وقال اجب الامير فقمت معه فادخلني دارا وحشة وعرة سوداء الحيطان معلقة السقوف والابواب وأصعدني على درج منها ثم ادخلني غرفة في حيطانها أثر النيران والرماد واذا بأبي وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف فقلت دلف فانشأ يقول

بلغن أهلنا ولا تخف عنهم * مالقينا في البرزخ الخفاق
قد سئلنا عن كل ماقد فعلنا * فارحموا وحشتي وماقد ألاقي

ثم قال افهمت فقلت نعم فهمت ثم انشد

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذا عن كل شي

ثم قال افهمت فقلت نعم فهمت ثم انتبهت وأنا مرعوب (اقول) كان أبو دلف من قواد المأمون ثم المعتصم من بعده وكان جوادا ممدوحا شجاعا (حكي) عنه انه لقي اكرادا قد قطعوا الطريق فطعن منهم فارسا فنفذت الطعنة الى ان وصلت الى فارس آخر فقتلهما معا وفي ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا أينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا

لا تعجبوا

لاتعجبوا أن طول قناته * ميل لما طعن الفوارس ميلا

وفيه يقول ايضا

ياطالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم

لولم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لا تاك ذاك الدرهم

(وروى) أنه أجاز على هذين البيتين عشرة آلاف درهم (وقد) ألم بهذا المعنى ابو بكر بن هاشم حيث قال

ماصح علم الكيمياء لغيركم * فيما رويناعن جميع الناس

تعطيهم البدر النضار اذا هم * رفعوا اليك الشعر فى قرطاس

(الباب الخامس فى بسط الكلام على ماوقع من ذلك فى الحوادث الواقعة بمصر ومافى معناها على سبيل الاختصار)

(اقول) سنة سبعمائة فيها البس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر لعنهم الله تعالى ليقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم وسبب ذلك ان مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند الجاشنكير وسلار فحضر بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربي وتوهم أنه مسلم ثم ظهر له انه نصرانى فدخل الى السلطان الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى اهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم ويحترزوا منهم فأجابه السلطان الى ذلك وفى ذلك يقول شمس الدين الطيبى يصف اختلاف ألوان عمائمهم

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا

كأنما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم درقا

(واستمر) ذلك من سنة سبعمائة الى هذه السنة التى هى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وفى هذه السنة وقع ربع عند جامع قوصون على ثلاثين نفسا من الفلاحين فمات منهم ثلاثة وعشرون وسلم سبعة وسمعت بعض المصريين يقول ان السبعة الذين سلموا من الردم رجعوا الى بلدهم فى شختور فهبت ريح شديدة فغرق الشختور بالسبعة الذين سلموا من الردم فلم يبق منهم أحد وهذا اتفاق غريب وآجال متقاربة (قيل) وأهدى أزبك ملك الشرق الى

السلطان الملك الناصر هدية من جملتها جلد دب أبيض طوله سبعة أذرع
وذلك فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة وأهدى اليه أيضا أبو ثابت ملك
الغرب هدية من جملتها سبعمائة دابة ما بين خيل وبغال وحمير وجمال على
يد رسوله ابدغدى الخوارزمى فخرجت عليها العرب فى الطريق عند المرية
فأخذتها بمجموعها وكان سيف الدين بكتمر الجوكندار عزيزا عند
السلطان بحيث انه كان يقول له يا عمى فاتفق انه أخرجه فى وقت الى صفد
نائبا فكان لا يحب سفك الدماء فاذا حضر اليه القاتل ضربه سبعمائة عصا
وحبسه فاذا قيل له لاى شئ لا تقتله قال الحى خير من الميت (ولما) قتل الملك
المظفر بيبرس وجد فى خزائنه ختمة مكتوبة بالذهب فى سبعة أجزاء فى قطع
البغدادى كتبها له الشيخ شرف الدين بن الوحيد بقلم الاشعار أخذ لها البقة
ذهب بألف وسبعمائة دينار وانفق عليها جملة من الاجرة وسرق فى أيام عمله
من خزانة سيف الدين بكتمر الحاجب سبعمائة ألف فمات صاحبها المذكور
غما فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقيل سنة ثمان (وحصل) للمظفر
مرض فى سنة أربع وعشرين أشرف منه على الموت فتصدق صدقة كثيرة
وأطلق المحابيس فحصل له البرء ففرح الناس وزال الباس وأقام المطربون
فى القلعة فى بيوت الامراء سبعة أيام (ولما خلع) من الملك وملك الملك
العادل كتبغا وقع غلاء عظيم فى مصر فبيع الفروج بعشرين درهما
والسفرجلة بثلاثين درهما وبيع اللحم كل رطل بسبعة دراهم والبيض
سبعة بدرهم وبلغ الاردب من القمح الى سبعمائة وسبعين درهما ولقى
الناس من الغلاء ما لا يدخل تحت حد ولا يحصر بعد وفى سنة ثلاث وثمانين
وثلثمائة حدث من الجراد والكمأة على جبل المقطم ما لم يعهد مثله فأكلت
منه الناس وبيع الجراد أربعة أرطال بدرهم والكمأة سبعة أرطال بدرهم
وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق عظيم بمصر فى سوق البزازين
وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها فباتت النار تعمل والناس
على خطر عظيم فركب كافور الاخشيدى صاحب مصر رحمه الله تعالى

وامر

وأمر بالنداء من جاء بقربة أوجرة أوكوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف عشرة آلاف الف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة ما قيمته ألف ألف وسبعة آلاف دينار وألف وسبعمائة دار وكان راتب كافور كل يوم من اللحم ألفي رطل وسبعمائة رطل ومائة طائر دجاج وثلثمائة فرخ حمام وثلثمائة فروج وعشرة أطيار اوز وعشرين رميسا أى خروفا وعشرة فراخ سمك بياض وثلثمائة صحن حلوا والف كماجه وسبعة افراد نقل وألف كوز فقاع ومائة قربة شراب تفرق على خاصته وكان يعطى الجزاء الجزيل اتفق فى أيامه زلزلة فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر فأنشده قصيدة منها قوله

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها * لكنها رقصت من عدله فرحا

فأجازه كافور بألف دينار وهذه الجائزة هى التى حثت المتنبى على الحضور الى كافور يقف بين يديه بخفين ومنطقة وعمامة خضراء ويحضر سماطه وصحبته غلام أسود ومعه قدور رخزف فيها فضلات الطعام وكان مع كثرة ماله وأخذ الجوائز العظيمة على جانب من البخل حكى عنه انه طلب نداقا ليعمل له جبابا لغلمانه ولحفا وفرشا فأقام عنده سبعة أيام فأعطاه سبعة قراريط ذهبا فصعب ذلك عليه فقال له كم ظننت أنى أعطيك فقال سبعة دنانير فقال له المتنبى والله لو وضعت احدى رجليك على طورسينا والاخرى على طورزيتا وتناولت قوس قزح وقائمة العرش بيدك وندفت قطن الغمام على جباب الملائكة ما اعطيتك سبعة دنانير وذكر سبعة أشياء يفتخر بها فى بيت واحد وهو

الخيل والليل والبيداء تعرفنى * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وعارضه أبو الحسن الجزار من شعراء مصر وذكر سبعة أشياء أيضا فقال

فان يكن أحمد الكندى متهما * بالفخر يوما فانى غير متهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفنى * والخلع والقطع والساطور والوضم

وقال المتنبى أيضا فى قصيدة مدح بها سيف الدولة بن حمدان جاء منها بيت

فى كل نصف منه سبعة أفعال أمر وهو

اقل أمل أقطع اجل اعل سل أعد * رد هش بش تفضل ادن سر صل

(حكى) ان سيف الدولة وقع له تحت كل كلمة منها بما سأل حتى انه وقع له تحت قوله أقطع لانه من قول القائل أقطعت فلانا أرض كذا بسبعين قرية على باب حلب وفيها يقول المتنبى

واسس لى اقطاعة من ثنائه * على طرقة من داره بجنابه

حكى انه لما وقع تحت كل كلمة بما سأل قال له شيخ ظريف من ندمائه يقال له المعقلى قد أجبته الى كل ما سأل فلم تقل عند هش بش هى هى هى يعنى بذلك تضحك قال ذلك حسدا له وتندرا عليه وفى سنة احدى واربعمائة توفى بمصر الحافظ ميسر وذكر المسبحى عن حفظه أشياء وكان معه درج طويل طوله سبعة وثمانون ذراعا مملوء الوجهين فيه أوائل ما يحفظه وكان يحفظ سبع عشرة آلاف أرجوزة وعشرة آلاف بيت من الهجاء ومثلها فى الغزل ومثلها فى التشبيهات ومثلها فى التهانى وغير ذلك وفى سنة ثمان وخمسين شنق الكورانى الذى ادعى أنه المهدى ومن كان معه وادّعت زوجته انها حامل فحبست لتضع وتقتل فأقامت محبوسة سبع سنين وهى تدعى الحمل وأن الجنين يتكلم فى بطنها ثم أطلقت بعد ذلك أقول ومن غريب الاتفاق العجيب أن الملك الظاهر أول جلوسه فى مرتبة السلطنة يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة واول ما افتتحه من البلاد قيسارية العجم وآخر ما افتتحه قيسارية الروم وأول من بنى انطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر وأول من خربها الملك الظاهر المذكور وكان القائم بالدولة التركية السلجوقية السلطان ركن الدين وهذا السلطان الملك الظاهر بيبرس أقام الدولة التركية من حين المنصور وركن الدين اذ ذاك هو الذى ردّ الخلافة لبنى العباس باقامة الخليفتين المستنصر الاسود والامام الحاكم بامر الله أمير المؤمنين والخطبة فى الدولة المصرية كانت للظاهر بعد الحاكم بامر الله أمير المؤمنين والخطبة على المنابر لهذا الظاهر على سرير الملك فى التاريخ المذكور ولقب

نفسه

نفسه بالملك القاهر فقال له الصاحب زين الدين بن الزبير مالقب أحد هذا اللقب فافلح لقب به القاهر بن المعتصم فلم تطل أيامه وخلع ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم ولم تزد أيامه على (سبع) سنين فترك اللقب المذكور وتلقب بالظاهر واتفق أن ملوك مصر العبيديين قالوا فى أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا فى ورقة ألقابا كثيرة تصلح للخلافة حتى اذا ولى منا أحد لقبناه منها بلقب فكتب لهم ألقابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق أن آخر من ملك منهم العاضد وزالت فى أيامه دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى وجزاه خيرا (ومن غريب) الاتفاق أيضا ان أولهم المهدى وكان اسمه عبد الله وآخرهم العاضد وكان اسمه عبد الله ومثله فى الغرابة أن أول ملوك الاسلام من بنى أبى سفيان معاوية بن أبى سفيان ثم ابنه يزيد بن معاويه ثم معاوية بن يزيد وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية المختتم بمعاوية ثم ملك مروان بن الحكم من بنى امية وكان آخر بنى أمية أيضا مروان الملقب بالحمار وهذا من غريب الاتفاق الذى قل من نبه عليه ومثله فى الغرابة أيضا ماحكاه الصولى ان الناس يرون كل سادس يقوم بالامر منذ أول الاسلام لابد أن يخلع فالنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع وقتل ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين فخلع وقتل ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل ثم المعتز بالله والمهدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد انتهى قول الصولى قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المقتفى ثم المستكفى ثم المطيع ثم الطائع فخلع انتهى ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد

والراشد فخلع ثم المقتفى والمستنجد والمستنصر والناصر والظاهر والمستعصم فخلع وقتل وكذلك العبيديون اولهم المهدى عبد الله والقاهر بامر الله والمنصور صاحب افريقية والغربانى القاهر والعزيز والحاكم فقتلته اخته وولت ابنه الظاهر والمنتصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر فخلع وقتل ثم ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر أولهم صلاح الدين يوسف وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الاكبر أخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير قبض عليه امراء دولته وأحضروا أخاه الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك فاولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر بيبرس وابنه السعيد وأخوه العادل سلامش فخلع ثم الملك المنصور قلاوون رحمه الله تعالى وولده الاشرف وأخوه الملك الناصر والملك المنصور أبو بكر وأخوه الاشرف كجك وأخوه الناصر أحمد فخلع وقتل ثم أخوه الصالح ثم أخوه الكامل شعبان ثم أخوه المظفر حاجى ثم أخوه مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين جعله الله وارث الاعمار على المنار مالاح صباح وهبت رياح

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(اولها) أقول قد تقدم ان الغلاء وقع فى أيام العادل زين الدين كتبغا واتفق انه وقع فى ايام العادل الكبير سنة سبع وتسعين وخمسمائة واكل الناس بعضهم بعضا وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء ثم وقع عقبه فناء عظيم حتى حكى أبو امامة فى الذيل ان السلطان الملك العادل كفن من ماله فى مدة يسيرة من هذه السنة نحوا من مائتى ألف وعشرين ألف ميت وقيل ثلثمائة ألف من الغرباء وأكلت الكلاب والاموات فى هذه السنة واكل من الصغار والاطفال خلق كثير يشوى الصغير والداه ويأكلانه وكثر هذا فى الناس حتى صار لا ينكر بينهم ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضا فيأكلون من يقدرون عليه واذا غلب القوى الضعيف ذبحه وأكله وفقد خلق كثير

من الاطباء فى هذه السنة يستدعون الى المريض فيذبحون ويوكلون واستدعى رجل طبيبا فخاف الطبيب على نفسه فذهب معه وهو على وجل فجعل الرجل يكثر من ذكر الله والصدقة على من يجده فى طريقه فسكنت نفس الطبيب بذلك فحين وصلا الى الدار وجدها خربة فارتاب الطبيب من ذلك فخرج رجل من الدار وقال لصاحبه ومع هذا البطء جئت لنا بصيد فلما سمع الطبيب قوله ولى هاربا فخلص الا بعد جهد جهيد أقول ووقع أيضا فى زمن المستنصر العلوى أحد خلفاء مصر وأكلت الناس بعضهم بعضا حتى ان الوزير ركب بغلة يوما الى دار الخلافة فلما نزل عن البغلة اخذت من غلمانه واكلت فى الحال فأمسك الذين اكلوها وشنقهم فأكلوا على الخشب ولم يصبح الا العظام ولما رجع هلاكو من الشام وقتل الملك الكامل صاحب ميافارقين بعد حصارها مدة بلغ ثمن مكوك القمح فيها بكيل ميافارقين خمسة وأربعين الف درهم والرطل الخبز وهو سبعمائة وعشرون درهما بستمائة درهم واللحم بستمائة واللبن بسبعمائة والاوقية العسل بسبعمائة درهم والبصلة بثلاثة وخمسين درهما وبيع رأس كلب بستين درهما وبيعت بقرة لنجم الدين مختار بسبعين ألفا فاشترى الملك الاشرف رأسها وكوارعها بستة آلاف درهم وخمسمائة درهم ومن ذلك أشياء كثيرة (ثانيها) نقلت من خط الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه مانصه وفى وسط شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين وسبعمائة ورد كتاب من حماة يخبر فيه انه وقع فى هذه الايام بيارين من عمل حماة برد على صور حيوانات مختلفة منها سباع وحيات وعقارب ومعز وطيور ورجال فى اواسطهم حوائص وان ذلك ثبت بمحضر شرعى عند القاضى بالناحية المذكورة ثم نقل ثبوته الى قاضى حماة انتهى أقول وفى أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب ابن هبيرة فيه ان بمدينة بخارى سمع قعقعة عظيمة فى السماء ودوى كالرعد القاصف وقت السحر اسقطت منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج فى السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص عظماء رؤسهم فى السماء وأرجلهم فى الارض وقائل يقول يا أهل الارض اعتبروا بأهل السماء هذا صفوائيل الملك عصى الله تعالى

فعذب فلما طلع النهار أتى الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان اسود كل ذلك مثبت على يد قاضى بخارى باربعين عدلا وفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة طلعت سحابة على بلد الموصل فامطرت نارا احرقت بما امطرت عليه وظهر بالعراق عقارب طيارة قتلت خلقا كثيرا وفى سنة اربع وأربعين وخمسمائة أمطرت باليمن مطرا كله دم فبقى أثره فى الارض وفى ثياب الناس وفيها نهبت العرب الحاج بمكة ووقفوا لهم بين المدينة ومكة وقاتلوهم فظهروا على الحاج وأخذوا من خاتون اخت السلطان مسعود ما قيمته مائة ألف دينار ومن الحاج ما يزيد على مائة ألف دينار ونهبوا الجمال ومات الناس عطشا وجوعا وحرا (ثالثها) فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشيراز وانطاكية وطرابلس وهلك خلق كثير حتى ان معلما بحماة قام من المكتب ثم عاد فوجد المكتب قد وقع على الصبيان فماتوا كلهم ولم يأت أحد يسأل عن ولده لان آباءهم قد ماتوا أيضا وهلك كل من فى شيراز الا امرأة وخادما واحدا وانشق تل حوران وظهر فيه بيوت وعمائر ونواويس وانشق فى اللاذقية موضع وظهر فيه صنم قائم فى الماء وخربت صيدا وبيروت وعكا وطرابلس وصور وجميع قلاع الفرنج وانفرق البحر الى قبرس وقذف المراكب الى ساحله وتعدى الى ناحية الشرق ومات خلق عظيم قال صاحب المرآة مات فى هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف انسان نسأل الله العافية فى العاقبة وفيها أيضا وقع وباء عظيم بين الحجاز واليمن وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فبادت ثمان عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار وبقيت انعامهم وأموالهم لا قانى لها ولا يستطيع أحد ان يسكن تلك القرى ولا يدخلها ومن دخل اليها هلك من ساعته فسبحان من بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون واما القريتان الباقيتان فانه لم يمت منهما أحد ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم من القرى بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم احد (رابعها) فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة قال الشيخ عماد الدين

ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية فيما ورد من ملك التتار نوكى بن جنكزخان الى ملوك الاسلام يدعوهم الى طاعته ويأمرهم بتخريب اسوار بلادهم وعنوان كتابه من نائب رب السماء ماسح الارض ملك الشرق والغرب خاقان وكان الكتاب مع رجل مسلم من اهل اصفهان لطيف الاخلاق فأول ماورد على شهاب الدين غازى بن العادل فاخبرهم بعجائب فى أرضهم غريبة منها ان بالبلاد المتاخمة للسند اناسا أعينهم فى مناكبهم وافواههم فى صدورهم يأكلون السمك واذا رأوا أحدا من الناس هربوا ومنها ان عندهم بزرا ينبت الغنم يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ولا يتناسل ومنها ان بأزيدان عينا يطلع منها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة فتقيم طول النهار فاذا غربت الشمس غاصت فى العين فلا ترى الى مثل ذلك الوقت وان بعض الملوك احتال عليها ليمسكها فسلسلها بسلاسل من الحديد فغارت وقطعت السلاسل ثم كانت اذا طلعت يرى فيها تلك السلاسل وهى الى الآن كذلك وهذا أمر عجيب (خامسها) فى سنة ثنتى عشرة واربعمائة ورد كتاب من السلطان محمود بن سبكتكين الى الخليفة يذكر فيه ما افتتحه من البلاد بالهند وأنه كسر الصنم المشهور بسومنات وأن اصناف الهند افتتنوا به وكانوا يعتقدون انه يحيى ويميت ويقصدونه للحج من كل فج عميق فيتقربون اليه بالاموال حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه بالاموال ورتب له ألف رجل يخدمونه وثلاثمائة يحلقون رؤس حجيجه ولحاهم عند القدوم وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ولقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم ويتعرف الاحوال فتوصف له المفاوز وكثرة الرمال فاستخار العبد الله تعالى فى الانتداب لهذا الواجب طلبا لثواب الاجور ونهض فى شعبان سنة ست عشرة فى ثلاثين ألف فارس سوى المطوعة ففرق فى المطوعة خمسين ألف دينار معونة وقضى الله تعالى بالوصول الى بلد الصنم المذكور وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقد عليه النار حتى تقطع وقتل خمسمائة ألف من أهل هذا البلد رحمه الله

تعالى وجزاه خيرا قال الشيخ شمس الدين الذهبي فى تاريخه وجدوا حوله أصناما كثيرة من الذهب والفضة مرصعة بالجوهر محيطة بعرشه يزعمون أنها الملائكة ووجدوا فى أذنيها نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن ذلك فقالوا كل حلقة عبارة عن عبادة ألف سنة وورد منها أيضا كتاب آخر فيه انه وافى مدينة لم ير مثلها فيها ازهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للاصنام ومبلغ ما فى الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال من الذهب وقلع من أصنام الفضة ما يزيد على ألف صنم ولهم صنم عظيم عندهم يؤرخون مدته بجهالتهم العظيمة بثلاثمائة ألف عام وقد بنوا حول تلك الاصنام المنصوبة زهاء عشرة آلاف بيت فعنى العبد بتخريب تلك المدينة اعتناما باللاجر وعمدها المجاهدون بالاحراق فلم يبق منها الا الرسوم وافرد خمس الرقيق فبلغ خمسة وخمسين ألفا واستعرض ثلاثمائة وخمسين فيلا (سادسها) كان باليمن رجل خارجى استولى على البلاد وكان يدعى مذهب القرامطة وينتمى الى صاحب مصر الفاطمى ويتستر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك بعده ولده ففعل أشد مما فعل أبوه وبنى على قبره قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والفضة والجواهر وقناديل الذهب وستور الحرير بحيث لم يعمل مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة فكانوا يحملون اليها من الاموال فى كل سنة ما لا يحصى ويطوفون بها ومن لا يحمل شيأ قتله وأقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء مدة فكانت أهل اليمن يستنجدون السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فسير اليهم أخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل ابن الخارجى وكان اسمه عبد النبى بن المهدى وهدم القبة وأخذ ما فيها من المال والجوهر فكان وسق ستمائة حمل ونبش القبر وأحرق عظام اللعين الخارجى لا رحمه الله تعالى (سابعها) سنة أربع وخمسين وستمائة فى نصف جمادى الاخيرة منها ظهرت النار بأرض الحجاز وقال الشيخ الامام الحافظ شيخ الحديث وامام المؤرخين فى زمانه شهاب الدين

الملقب

الملقب بابي شامة في تاريخه انها ظهرت في التاريخ المذكور واستمرت شهرا وأزيد منه وذكر كتبا متواترة عن اهل المدينة الشريفة في كيفية ظهورها شرقي المدينة من ناحية وادي شظا تلقاء احد وأنها ملأت تلك الاودية وأنه خرج منها شرر يأكل الحجارة وذكر ان المدينة زلزلت بسببها وانهم سمعوا اصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام أول ذلك يوم الاثنين مستهل الشهر فلم تزل ليلا ونهارا حتى طلعت يوم الجمعة خامسه فانبجست تلك الارض عند وادي شظا عن نار عظيمة جدا فصارت مثل الوادي العظيم طوله اربعة فراسخ في عرض اربعة اميال وعمقه قامة ونصف يسيل منها الصخر حتى يبقى مثل الابل ثم يصير كالفحم الاسود وذكر ان من الناس من كتب على ضوئها في الليل وكان في كل بيت منها صباح ورأى الناس سناها من مكة قال الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه اخبرنا قاضي القضاة صدر الدين علي التميمي الحنفي قال أخبرني والدي وهو الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى انه اخبره غير واحد من الاعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان حاضره ببلد بصرى انهم رأوا صفحات اعناق ابلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز قال ابو شامة ان اهل المدينة لجؤا في هذه الايام الى المسجد الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وتابوا الى الله تعالى من ذنوب كانوا عليها واستغفروا عند قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سلف منهم وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا على فقرائهم وقال قائلهم في هذه النار أبياتا وهي

بحر من النار تجري فوقه سفن * من الهضاب لها في الارض ارساء
ترى لها شررا كالقصر طائشة * كأنها ديمة تنصب هطلاء
منها تكاثف في الجو الدخان الى * أن عادت الشمس منه وهي دهماء
فيا لها آية من معجزات رسو * ل الله يعقلها القوم الالباء

يشير الى الحديث الشريف الذي رواه البخاري رضي الله عنه وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتقوم الساعة

حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء اعناق الابل ببصرى فى أواخر كتاب الفتن فى باب خروج النار

(الباب السادس فى بسط الكلام على ما وقع من ذلك فى القاهرة وضواحيها والاهرام ونواحيها من اقليم مصر)

أقول قد تقدم ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله تعالى كان قد بنى فى قلعة الجبل المحروسة (سبع قاعات) وكان فيها فى الخزانة الكبرى (سبع) حواصل وهى حاصل الزرديات وحاصل الاعمدة وحاصل الجوخ وحاصل السيوف وحاصل القسى وحاصل لبوس الخيل وحاصل الخود والزنود والاتراس (والقاهرة) نفسها (سبع) حارات وهى حارة زويلة وحارة الروم وحارة الديلم وحارة كتامة وحارة بهاء الدين وحارة بيرجوان أحد أمراء الحاكم الذى بنى جامع القاهرة داخل باب النصر سنة (سبع) وثمانين وثلاثمائة وحارة العرب وفيها مكان يعرف بالسبع خوخ والاصل فيها انها كانت (سبعة) أبواب فى دهليز قصور الخلفاء الفاطميين وآثارها باقية الى الآن وفيها قيسارية الصاغة ولها (سبعة) ابواب وفيها أيضا قيسارية جهاركس ولها (سبعة) أبواب وعند قنطرة السباع مكان يعرف (بالسبع) سقايات وهو عبارة عن (سبع) أنابيب ماء يشرب منه الناس وبالقرافة مكان يعرف بالسبع قبيبات بالقرب من الحفائر وهى فى الحقيقة ستة لاغير والاصل فيها أنه كان بين بنى المغربى الوزير و بين أبى نصر وزير الحاكم عداوة فسعى عليهم عند الحاكم فامر بضرب اعناقهم فقتل منهم ستة وهم والد الوزير المغربى وأخواه وثلاثة من أهل بيته فاستتر ابو القاسم الوزير المغربى وهرب من مصر الى الشام والتجأ الى بنى الجراح فى الرملة وحسن لهم الخروج على الحاكم ونزع أيديهم من طاعته فطاوعوه وأحضروا آبا الفرج الحسينى من مكة وأقاموه خليفة وقبلوا الارض بين يديه وبايعوه بالخلافة ولقبوه الراشد بامر الله فعند ذلك صعد ابو القاسم بن المغربى منبرا وخطب خطبة بليغة وحرض فيها على قتال الحاكم وافتتحها بقوله تعالى طسم تلك

آيات

آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون فلما بلغ الحاكم ذلك ازعجه ازعاجا عظيما وسير الى بنى الخراج وبذل لهم مالا اجزيلا وخوفهم العاقبة فالوا اليه بعد خطب طويل وكتب الى ابن المغربى أمانا واسترضاه وبنى على الستة الذين قتلهم من أهل بيته ست قباب وهى المعروفة الآن (بالسبع) قبيبات والظاهر انه كان الى جانبها قبة أخرى فسميت (بالسبع) قبيبات بهذا الاعتبار وبالقرافة أيضا شجرة تعرف بالاهليجة فى جامع محمود بسفح الجبل المقطم تقبل النذر ومن النساء من يأخذ منها (سبع) ورقات وينذرلها يفعل ذلك من النساء من تريد الزواج وفيها أيضا القبور (السبعة) التى اشتهرت عند المصريين بقضاء الحاجة والدعاء عندها مستجاب وذلك ان من زارها فى يوم السبت وسأل الله تعالى حاجة قضيت وهى قبر ذى النون المصرى وقبر أبى الخير الاقطع وقبر أبى الربيع وقبر القاضى بكار وقبر القاضى كثانة وقبر أبى بكر المزنى وقبر أبى الحسن الدينورى رضى الله عنهم (أقول) ومن الادعية المستجابة ما جاء فى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام الى المدينة ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى فبينما هو قافل من الشام اذ عرض له لص على فرس فصاح به قف فوقف التاجر وقال له شانك ومالى فقال له اللص المال لى وانما أريد روحك فقال له أنظرنى حتى أصلى قال افعل ما بدا لك وصلى أربع ركعات ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يا مغيث

اغثني يامغيث اغثني يامغيث اغثني واذا بفارس بيده حربة فلما نظره اللص
ترك التاجر ومر نحوه فلما رآه لحقه وطعنه طعنة فأرداه عن فرسه ثم قتله
وقال للتاجر أعلم انى ملك من ملوك السماء الثانية دعوت اولا فسمعت لابواب
السماء قعقعة فقلت أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء
ولها شرر ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل ينادى من لهذا المكروب فدعوت
الله تعالى أن يولينى قتله واعلم ياعبدالله ان من دعا بدعائك فى كل شئ اغاثه
الله تعالى وفرج عنه ثم جاء التاجر سالما الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره
فقال لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التى اذا دعى بها أجاب واذا سئل بها
أعطى وشكا رجل الى الحسن البصرى رجلا ظلمه فقال اذا صليت الركعتين
بعد المغرب وسلمت فاسجد وقل ياشديد القوى ياشديد المحال ياعزيز ذللت
بعزتك جميع خلقك صل على سيدنا محمد وآله وا كفنى مؤنة فلان بما شئت
ففعل ذلك فسمع صيحة عظيمة فى الليل فسال عنها فقيل مات فلان فجأة (وكان)
أبو مسلم الخولانى اذا دهمه أمر قال يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك
نستعين قالوا وكلمات الفرج عند الكرب لااله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين (وقال) جعفر بن محمد
لسفيان الثورى اذا كثرت همومك فاكثر من لاحول ولاقوة الا بالله العلى
العظيم واذا ذرت عليك النعم فاكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عنك
الرزق فأكثر من الاستغفار ومن قال فى ليل أو نهار اللهم أنت ربى لااله
الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ
لم يكن أعلم ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى
اعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على
صراط مستقيم ثلاث مرات لم يضره شئ ومن قال سبحان الله وبحمده
ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن كل
غم وجذام وبرص وفالج (أقول) ومما جاء فى آداب الدعاء ان يترصد الانسان
الاوقات الشريفة كما بين الاذان والاقامة وحالة السجود ووقت السحر

وان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه بعد الدعاء وان لا يرفع بصره الى السماء عند الدعاء لما ورد فى النهى عن ذلك وأن يخفض صوته لقوله تعالى تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وان لا يتكلف السجع ويأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على (سبع) كلمات فما دونها كما ترى فى آخر سورة البقرة وبالقرب من القرافة ايضا مكان يعرف ببساتين الوزير وهى (سبعة) بساتين فى بركة الحبش وواجهات مصر (سبعة) منها واحدة تسمى النايهة وحكايتها غريبة مشهورة عند المصريين والتاج (والسبع) وجوه مكان مشهور ظاهر القاهرة وهو من متنزهاتها الحسنة يقصده الناس فى أيام الربيع للفرجة وقد ذكره الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله فى موشحته التى يقول فيها

مهلا أبا القاسم * على أبى حيان
ما ان له عاصم * من لحظك الفتان
وهجرك الدائم * قد زاد فى الهيمان
فدمعه أمواج * وسره قد لاح
لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح
يارب ذى بهتان * يعذلنى فى الراح
وفى هوى الغزلان * دافعته بالراح
وقلت لاسلوان * عن حبه يا صاح
سبع الوجوه والتاج * هى منية الارواح
فاختر لى يا زجاج * مصالا وزوج أقداح

(وقال آخر) يعرض بذكر انسان يلقب بالتاج

تبا لكوم الريش من بلدة * ليس بها رفد لمحتاج
والسبعة الاوجه لا تنسها * ولعنة الله على التاج

(وقال) بعضهم يمدحها بقوله

انظر الى كوم ريش قد غدا نزها * للب كل سليم الطبع يختلب

به بحار لآل قد حوت قضبا * من الزبرجد منها يحصل العجب
ولا تقل كوم ريش ماله ثمن * فان بالريش حقا يجتنى الذهب

وقلت أنا فى رسالتى السجع الجليل فيما جرى فى زمن النيل ماجاء منه وفك من الجزيرة أسارى من يد الجدب وأنقذهم من حر حرب وكرب فانشأ بها لاصحاب القصب الطرب ورصع التاج بجوهر الحبب وأدار بسوق الاشجار من جداوله المحمرة خلاخل الذهب وأحيا ما فى مواتها من ميت الرمس وأحاط بالوجوه (السبعة) من الجهات الست فشكرته الحواس الخمس وفى جزيرة الفيل أيضا مكان يعرف بالهما ثل هو عبارة عن (سبع) سواق تدور بالماء أيام النيل للفرجة ومن أحسن ما قيل فى دولاب الساقية قول مجير الدين بن تميم مضمنا وهو قوله

ودولاب روض كان من أغصن الزهر * تميس فلما فارقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على يوم الصبا أبدا تجرى

وقوله أيضا سامحه الله تعالى

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وذكر الشريشى فى شرح المقامات ان بين الجيزة والاهرام (سبعة) أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربع وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات توضع بطن هذه لظهر تلك والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ وقال الزمخشرى وهما يعنى الهرمين على فرسخين من الفسطاط كل واحد أربعمائة ذراع عرضا والاساس زائد على ذلك وهو مبنى بالحجارة المرمر وهى منقولة من مسافة أربعين فرسخا من موضع يعرف بذات الحمام فوق الاسكندرية ولا يزالان ينخرطان فى الهواء حتى يرجع دورهما فى نهاية علوهما الى مقدار خمسة أشبار فى خمسة وليس على وجه الارض بناء أرفع منهما مصور فيهما بسند كل سحر وطلسم وطب وفيه انى بنيتهما بملكى فمن ادعى فى ملكه قوة

فليهدمهما

فليهدمهما فان خراج الارض لايفى بهدمهما وقالوا لايعرف من بناهما
ومما قيل فى بنائهما وعظمهما (شعر)

خليلى ما تحت السماء بنية * تشابه فى بنيانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على الارض يخشى دائما سطوة الدهر

وقال المسعودى طول كل واحد منهما وعرضه أربعمائة ذراع وأساسهما نازل فى الارض مثل طولهما فى العلو وفى كل هرم منهما (سبعة) بيوت على عدد الكواكب (السبعة) السيارة كل بيت منها باسم كوكب ورسمه وجعل فى جانب كل بيت منها صنم ذهب مجوف واحدى يديه موضوعة على فمه وفى جبهته كتابة كاهنية اذا قرئت فتح فاه وخرج منه مفتاح لذلك القفل وان لتلك الاصنام قرابين وبخورات فى أيام وأوقات السعادات ولها أرواح موكلة بها مسخرة لحفظ تلك البيوت والاصنام ومافيهما من التماثيل والعلوم والعجائب والجواهر والاموال وكل هرم فيه ملك فى ناووس من الحجارة يطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمته وطلسم عليه لايصل أحد اليه الا فى الوقت المحدود فيه الفساد وذكر بعضهم ان فيهما مسارب الماء يجرى فيها النيل وان فيهما مطامير تسع من الماء بقدرها وان فيهما مكانا ينفذ الى صخر الفيوم وهى مسيرة يومين وروى فى أخبارها ان عليهما مكتوبا بنيناهذه الاهرام فى ستين سنة فليهدمهما من يريد ذلك فى ستمائة سنة فان الهدم أهون من البناء وكانكسوناهما حريرا فليلبسهما من يأتى بعدنا حصرا ودخل جماعة فى أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير فوجدوا فى أحد بيوته جام زجاج غريب اللون والتكوين فحين خرجوا به فقدوا منهم واحدا فدخلوا فى طلبه فخرج عليهم عريانا وهو يضحك وقال لاتتعبوا فى طلبى ورجع هاربا الى داخل فعلموا ان الجن استهوته وشاع أمرهم فأحضروا عند أحمد بن طولون فحكوا له القصة فمنع الناس من الدخول فى الهرم وأخذ منهم ذلك الجام الزجاج فقال له انسان عارف بأمور الاهرام وأحوالها هذا الابد فيه من سر فأخذه وملأه ماء ووزنه ثم صب ذلك الماء ووزنه فوجد زنته وهو ملآن كزنته وهو

فارغ لا يزيد ولا ينقص فتعجبوا من ذلك غاية العجب * ولما فتح المأمون الثلمة الموجودة فى الهرم الكبير الآن وانتهى الى عشرين ذراعا وجد مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار منه أوقية وكان ألف دينار فتعجب من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته فقال ارفعوا حساب ما أنفقتموه فى هذه الثلمة فوجدوه بقدر ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فعجب من معرفتهم مقدار ما ينفق عليه وتركهم ما يوازنه فى مكانه غاية العجب قال وكان هؤلاء القوم بمنزلة لا توازى ولا ندركها نحن ولا أمثالنا (وحكى) ان جماعة من المصريين دخلوا فى الهرم الكبير فوجدوا فيه بيوتا فيها تماثيل عليها ذهب وتراصيع مصنوعة فأخذوا منها ما قدروا عليه فلما خرجوا فقدمنهم واحد فبينما هم يفكرون فى أمره واذا به قد خرج اليهم من أقصى النقب وهو عريان ضاحك كالابله وهو يقول صل صلبوا صل صلبوا ورجع داخل الهرم فكان آخر العهد به (وحكى) ان الذى بناها ملك يقال له سلوق بن درسيد الذى أغرقه نوح عليه السلام بالطوفان وله حكايات عجيبة غريبة فى سبب بنائها ذكرها صاحب علوى الاجرام فى اخبار الاهرام وانه لما بناها وكل بكل هرم منها روحانيا يحفظه فوكل بالهرم البحرى وهو المفتوح الآن روحانيا فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب تصل الى الارض فاذا أرادت أن تستفز الانسى ضحكت فى وجهه وجرته الى نفسها فتطعمه وتسخر به وحكى من رآها عريانة عند هذا الهرم انه امتلأ قلبه رعبا وعدل عنها ولم يكلمها ولم تكلمه ووكل بالهرم الذى الى جانبه روحانيا فى صورة غلام أمرد اصفر عريانا وذكر جماعة أيضا انهم رأوه الى جانبه مرة بعد مرة ثم يغيب عنهم ووكل بالثالث وهو الصغير روحانيا فى صورة شيخ فى يده مبخرة وهو يبخرها وعليه ثياب الرهبان وذكر قوم من أهل الجيزة انهم رأوه مرات فى اطراف النهار فاذا قربوا منه يغيب عنهم ولم يظهر فاذا بعدوا عنه عاد الى حالته التى كان عليها وأحوال الاهرام عجيبة وحكاياتها غريبة وللناس فيها كلام كثير وهى من عجائب البلدان وغرائب البنيان وهذا القدر كاف هنا والله تعالى أعلم

(خاتمة)

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) أقول ومن عجائب البلدان الغريبة ما وجد بالاندلس حين فتحت في مدينة يقال لها مدينة الملوك قال جماعة من المؤرخين انه وجد في قصر المملكة بها أربعة وعشرون تاجا بعدد من ملكها لايدرى ماقيمة كل تاج منها على كل تاج اسم صاحبه وكم ملك من السنين ووجد فيه مائدة سليمان ابن داود عليهما السلام قال في مرآة الزمان وهي من الذهب وقيل من الياقوت وعليها أطواق الجوهر الثمين فحملت الى الوليد بن عبد الملك ووجد فيه باب مقفل عليه أربعة وعشرون قفلا لايعلمون ماوراء هذا الباب فلما ملك ابن زريق وهو آخر ملوكها قال لابد لي من معرفة مافي هذا الباب فاجتمعت اليه الاساقفة والرهبان وسألوه أن لايفعل ذلك وان يقتدي بمن سبقه من الملوك ولايتعرض لفتح ذلك الباب فلم يقبل وفتحه فاذا فيه تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ورماحهم وسيوفهم فلم يلبث ان وصلت العرب بلاده في تلك السنة وملكوها وهذا من العجائب (ثانيها) حكى القاضي أبو اليسر عطاء بن نبهان ان جبلا يقال له جبل كورة رسم بالشرق فيه غار في أعلى الغار نقب كفم الكوز اذا دخل اليه انسان وجد في ذلك النقب حزمة من قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لايدري من أي شئ هي فاذا حلت تلك العقدة لايقدر أحد أن يعقد مثلها واذا أخذ الانسان تلك الحزمة وخرج بها من الغار سقطت أخرى مكانها هكذا دائما أبدا وهذا من أغرب مايكون (ثالثها) وبالقرب من دربند جبل عظيم في أسفله ضيعة يقال لها زوره كاران معنى ذلك صنعة الدروع والجواشن وذلك لان نساءهم وأولادهم وجميع من فيها ليس لهم شغل سوى عمل الدروع وآلات الحروب وليس لهم زراعة ولا بساتين وهم أكثر الناس خيلا ومالا يقصدهم الناس بجميع النعم من سائر الآفاق ومن عجيب أمرهم انهم اذا مات فيهم الميت فان كان رجلا أسلموه الى رجال في بيوت تحت الارض يقطعون أعضاءه وينقون عظامه من اللحم والمخ ويجعلون لحمه ناحية ويضعونه للغربان

السودتأكله و يقفون بالقسى يمنعون غيرها من الحيوان والطير أن يأكل منه وان كان الميت امرأة أسلوها الى نساء تحت الارض فيخرجن عظامها ويطعمن لحمها للحدأة ومن حسرة الملوك أن لا يقدروا على واحد منهم لانهم ليس لهم دين يعرف ولا يعطون لاحد طاعة وحاصرهم الأمير سيف الدين محمد بن خليفة المسلمين صاحب دربيك رحمه الله وكان فى عسكر عظيم فحين رأوا العسكر قد أحاط بهم خرج من تحت الارض جماعة منهم عليهم الاسلحة المحكمة فوقفوا واشاروا بأيديهم الى الجبال وتكلموا بكلام لا يفهم ثم غابوا تحت الارض واذا بريح عظيمة وثلج وبرد وكادت السماء أن تنطبق على الارض فلم يبق من العسكر الا من سقط على وجهه وهرب فيصدم بفرسه صاحبه فيقتله فحين بعدوا عن القرية انكشفت تلك الثلوج وفقد من العسكر خلق كثير وذلك من سحر أولئك الذين يجردون اللحم عن عظام الموتى تحت الارض وهذا من العجائب (رابعها) قال فى مرآة الزمان جبل الفتح من أعظم جبال الدنيا فيه امم كثيرة وممالك وهم اثنتان وسبعون أمة كل امة لها لسان وملك وفيه شعاب وأودية ومدينة باب الابواب على احدى شعابه بناها كسرى وجعلها حدا فاصلا بين الخور وبينه وجعل حده السور ومبدأه من البحر الى أعالى الجبل وذلك نحو من أربعين فرسخا حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا الجبل بابا من الحديد وعنده حفظة وأسكن هناك أمما مختلفة ليحفظوا الخدم من العدو مثل الخور والترك وغيرهم وفى هذا الجبل قرود يقف القرد على رأس الملك فاذا كان الطعام مسموما غمز القرد الملك بعينه فامتنع من الاكل (خامسها) حكى ابن الجوزى رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال بين الهند والصين بطة من نحاس على عمود من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء مدت عنقها الى نهر تحتها فشربت منه ثم عادت على ما كانت عليه ثم تفتح منقارها فيفيض منه من الماء ما يكفى سكان تلك البلاد وزروعهم ومواشيهم الى مثل عاشوراء من السنة القابلة فتفعل كما فعلت فى العام الماضى وهذا من

العجائب (سادسها) فى أرض الموصل جبل قريب من ناحية الشرق عليه دير يقال له دير الخنافس للنصارى فيه عيد فى ليلة من العام قال سبط ابن الجوزى حكى لى جماعة من أهل الموصل أنه فى تلك الليلة تصعد اليه جميع الخنافس التى فى الدنيا وتبيت فيه ألوف من الناس يمشون عليها طول الليل فاذا طلع الصباح لم يوجد للخنافس أثر وبأرض المغرب مثله أقول وحكاية دير الزرازير أيضا مشهورة وذلك انه كان يوم معلوم فى السنة يقصده كل زرزور على وجه الارض ومع كل واحد ثلاث زيتونات واحدة فى منقاره واثنتان فى رجليه فيلقون ذلك جميعه فى الدير فيعتصر منه الرهبان ما يكفيهم لسرجهم وادامهم ويبيع منه الرهبان لكلفتهم الى العام الآتى وهذا الدير فى رومية وهو من العجائب (سابعها) قال الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار تبت مدينة بناها تبع وسماها باسمه تبع فغيرا سمها الترك وهى مدينة ينسب اليها المسك التبتى يقال ان من أقام فيها أصابه سرور ولا يدرى ما سببه ولا يزال ضاحكا متبسما حتى يخرج منها والصين بلاد موصوفة بالصناعات الدقيقة والتصاوير العجيبة يفرق مصورهم فى تصويره بين من هو ضاحك ومن هو خجلان ومن هو مستهزئ ومن هو مسرور يضحك

(الباب السابع فى ذكر السبع زهرات التى تجمع بمصر فى صعيد واحد وذكر ما قيل فيها من منظوم ومنثور وغير ذلك)

وهى النرجس وهو أول ما تقدم ذكره والبنفسج والبان والورد المستوى ويعرف أيضا بالقحانى والزهر والياسمين والورد النصيبينى وهو آخرها فهذه السبع زهرات التى تلهج المصريون بذكرها وتجتمع فى مصر فى وقت واحد وأما النسرين فانه وان كان فى مصر من أعطر الزهور رائحة فانه غير معدود فى السبع زهرات لانه انما يأتى فى آخر أيام الورد النصيبينى فلا يلحق النرجس ولا البنفسج فلم يكن معدودا فى جملة السبع زهرات لاجل ذلك فما فى النرجس ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال شموا النرجس ولو فى اليوم مرة واحدة ولو فى الشهر مرة ولو فى الدهر مرة فان

فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها الا شم النرجس أقول وهو حار رطب فى الثانية نافع من الرطوبات والبلغم ومن الصداع البارد ومن سائر الامراض الباردة وقال كسرى انوشروان النرجس ياقوت أصفر بين ورد أحمر على زمرد أخضر وقال ابو عون فى كتاب التشبيهات له من جيد ما قيل فى النرجس ما أنشده المبرد

نرجسة لاحظنى طرفها * تشبه دينارا على درهم

أقول أخذه التلعفرى فقال وأحسن فى المقال

قد اكثر الناس فى تشبيههم أبدا * للنرجس الغض بالاجفان والحدق
وما أشبهه بالعين اذ نظرت * لكن أشبهه بالعين والورق

(وقال ظافر الحداد وأجاد)

كأن أوراقه والشمس تقصرها * أوراق شمع فمن خام ومقصور

(وقال ابن الرومى)

وأحسن ما فى الوجوه العيون * وأشبه شئ بها النرجس
يظل يلاحظ وجه النديم * وحيدا فريدا فيستأنس

(وقال آخر)

كأنه والعيون ترمقه * دراهم وسطها دنانير

(وقال آخر)

وعندنا نرجس انيق * تحيا بأنفاسه النفوس
كأن أجفانه بدور * كأن احداقه شموس

(وقال آخر)

اما تراه ومر الريح يعطفه * كأنه زعفران فوق كافور
اذا بدا فى اختلاف فى محاسنه * أراك كيف اختلاط النار والنور

(وقال آخر)

قم يا غلام فهاتها مشمولة * ان الرياض بكل زهر تحتشى
والنرجس الغض الندى كأنه * ثغر يعض على بقية مشمش

(وقال آخر)

ناولني من أحب نرجسة * أحسن في ناظري من الورد
كأنما بيضها مرصعة * من خده والصفار من خدي

(وقال آخر)

في روضة تهدى لنا * نفس الشمول بها الشمال
في كل نرجسة بها * شمس يحيط بها هلال

(وقال ابن الرومي يهجو النرجس)

انظر الى نرجس تبدى * وما لعينيك منه طاقه
واكتب أباطيل واصفيه * بالحسن في دفتر الحماقه
وأي حسن يرى لعين * مع يرقان يحل ماقه
كراية ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال أيضا في تفضيل النرجس على الورد)

أيها المحتج للور * د بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضـ * ـل فأنصف في المقال
لا تقاس الاعين النجـ * ـل بأصرام البغال

(وقال أيضا)

خجلت خدود الورد في تفضيله * خجلا يوردها عليه شاهد
للنرجس الفضل المبين اذا أتى * آت وحاد عن المحجة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الرياض وأن هذا طارد
ينهى النديم من القبيح بلحظه * وعلى المسرة والسماع يساعد
هذي النجوم هي التي ربتها * بحيا السحاب كما ربي الوالد
فانظر الى الولدين من أرباهما * شبها بوالده فذاك الشاهد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

(وقد ناقضه احمد بن عبد الصمد فقال من أبيات)

ان كنت تنكر ماذكرنا بعد ما * قامت عليه دلائل وشواهد

فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفرّ الا الحاسد

(وقال آخر)

ايا جاعلا للنرجس الغض رتبة * على الورد قد أخطأت عن سنن القصد
بعينى رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس فى خدمة الورد

(وقال الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى فى مقامة على لسان البنفسج)

اذا وصفوا ازرق اليواقيت أطنبوا * وقالوا لها لون كلون البنفسج
كأنّ مع الورد الجنىّ بقية * كآثار قرص فوق خد مضرّج

(وقال ابن الرومى)

بنفسج سرّ لأنى اذا * رأيته أشرب ماشيتا
ليس من الزهر ولكنه * زمرذ يحمل ياقوتا

(وقال أيضا)

رأيت البنفسج فى روضة * واحداقه للندى ساهره
يحاكى بها الزهر زرق العيون * واجفانها بالبكا قاطره

(وقال ابن المعتز)

بنفسج جمعت أوراقه فحكت * كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت
كأنه فوق طاقات يلوح بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

(وقال الحسين بن الضفاض)

اشرب على زهر البنف * سج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه * آثار قرص فى خدود

(وقال شمس الدين محمد بن العفيف فى البان)

تبسم زهر البان عن طيب نشره * وأقبل فى حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون البان تصلح للقصف

(وقال آخر)

أو ما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس

وانى

وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاسى

(وقال آخر)

قد اقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكى الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

(حكى) عن شهاب الدين بن جلنك انه كتب رقعة الى بعض الحكام يسأله فيها شيأ فوقع له برطلين خبزا فتوجه الى بستانه وكتب على بابه

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

(وقال أمين الدين بن جوبان القواس)

نفش غصن البان أذنابه * واهتز عند الصبح زهرا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * يعزى الى قدى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ما هذه الاعيون وقاح

(وقال أبو حاتم الوراق)

كأن نور شجر الخلاف * أذناب سنور بلا خلاف

(وقال سيف الدين يهجوه)

وردى بان خلته * لما تناثر دود قز
بع الروائح يابس * فكأنه من زرقوز

(وقال القاضى الفاضل فى زهر النارنج)

نديمى هيا قد قضى النجم نحبه * وهب نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد أزهر النارنج ازرار فضة * تزرعلى الاشجار أوراقها الخضرا

(وقال ابن تميم مضمنا فى زهر اللوز)

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

(وقال أيضا)

قد أتتنا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الاغصان

(وقال أيضا)

خرجنا للتنزه في رياض * يعود الطرف عنها وهو راضى
ولاح الزهر من بعد نخلنا * ضبابا قد تقطع في رياض

(وقال البدر الذهبي)

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

(وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في الياسمين)

وياسمين قد بدت * اشجاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر * عليه قطن قد ندف

(وقال عبد الملك الذمى فيه)

أرى ياسمينا طريا غدا * الى الند في نشره ينتمى
كمثل قصاصة فضية * تلوث اطرافها بالدم

(وقال آخر)

كأن الياسمين الغض لما * ادرت عليه وسط الروض عينى
سماء للزبرجد قد تبدت * انار فيها نجوم من لجين

(وقال آخر فيه قبل انفتاحه)

خليلى هيا ينقضى الهم عنكما * وقوما الى روض وكاس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منورا * كاقراط در رصعت بعقيق

ومما جاء في الورد ما روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه انه قال حيانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالورد وقال اما انه سيد رياحين الجنة بعد الآس وقال جعفر بن محمد ريح الملائكة ريح الورد وريح الانبياء عليهم السلام ريح السفرجل وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى في الورد

قامت

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت جيوش الآس تغـ * ـزو روضة الورد الجنيه
لكنها كسرت لان الورد شوكته قويه

(وقال أيضا ابن حجاج)

للورد عندى محل * لانه لا يمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الأجل
إن جاء عزوا وتاهوا * حتى اذا غاب ذلوا

(وقال ابن تميم واحسن)

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

(وقال ابن المعتز)

ووردة فى بنان معطار * حيا بها فى خفى اسرار
كانها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

(أخذه القاضى النفيس فقال)

ناولنى وردة منعمة * كان بها من رضاه اشعار
وقال خذ وجنتى مضاعفة * وفوقها للقبول دينار

وقال شهاب الدين بن مسعود وقد بعث الى بعض أصحابه وردا ليستخرج ماء

ياسيدا أضحت خلائقه * كالروض ريح الصبا تدمثها
بعثت وردا جنى اليك عسى * تقبض لى روحه وتبعثها

(وقال ابن تميم)

ولم أنس قول الورد والنار قد سطت * عليه فأمسى دمعه يتحدر
ترفق فما هذى دموعى التى ترى * ولكنها روحى تذوب فتقطر

(وقال آخر فى شجر الورد)

أما ترى شجرات الورد طالعة * فيها بدائع قد ركبن فى القضب

كأنهن يواقيت أطيف بها * زمرد وسطها شذر من الذهب

(وقال آخر فى زر الورد)

ووردة تحكى امام الورد * طليعة سابقة للجند

قد ضمها فى الوشى غصن الرد * ضم فم لقبلة من بعد

(وقال أبو حفص المطوعى فى أطباق الورد)

ألست ترى أطباق ورد وحواها * من النرجس الغض الجنى قدود

فتلك خدود مالهن من آعين * وهذى عيون مالهن خدود

(وقال الخالدى فى الورد القحابى)

وورد بستان تحاييه * رتبه الحسن بنوعين

ظاهرها من قشر ياقوتة * وباطنها من ذهب عين

قبلتها حبا لها اذ بها * حيانى البدر على عين

كانها خدى على خده * يوم اجتمعنا غدوة البين

(وقال آخر فى الورد الاسود)

لله أسود ورد جاء يلحظنا * بين الرياض بالحاظ المعافير

كأنه وجنى الريح يقطفها * كف المحب بأصناف الدنانير

(وقال آخر أيضا)

وورد اسود خلناه لما * تضوع نشره ملك الزمان

مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

(قال الطغرائى من أبيات فى الورد الاصفر)

شجرات ورد اصفر بعثت * فى كل قلب متيم طربا

يا من رأى من قبلها شجرا * سقى اللجين فأنبت الذهبا

(وقال فى الورد الابيض)

ومدلل حيا المحب بوردة * بيضاء قد شربت زوائج نده

فكأنها وبها احمرار حائل * ماء الحياة على صحيفة خده

(وقال ابن المعتز فى الورد الاحمر والابيض)

أهدت

أهدت الى يد نفسى الفداء لها * الورد نوعين مجموعين فى طبق
كان أبيضه فى وسط أحمره * كواكب أشرقت فى حمرة الشفق

(وقال ابن جلنك)

ارى النرجس الغض الذكى مشمرا * على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد دل حتى لف من فوق رأسه * عمائم فيها لليهود علائم

(وقال ابن تميم فى تفضيل الورد على النرجس وأحسن)

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام فى خدمته النرجس

(وقال محيى الدين بن عبد الوهاب يعكس عليه هذا القول)

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خدا ليمشى فوقه النرجس

(وأنصف سعيد الخالدى بينهما فقال)

أبحت النرجس البلدى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وانى * ارى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الأزهار هذا * مقدمة يسير وذا الساقه

(خاتمة الباب وسجع طائره المستطاب)

(أولها) حكى المسعودى فى شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد ابن عبد الله العكبرى فى كتابه بسنده عن أيوب الوزان قال قال الفضل دخلت على الرشيد و بين يديه طبق فيه ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد اهديت اليه فقال يا فضل قل فى هذا الورد شيأ يشبهه فقلت

كأنه خد مرموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

(فقالت الجارية)

كأنه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور دونى عاجلا (ثانيها) قال ابن رشيق فى العمدة وقد سئل عن التشبيه

انما هو تقريب المشبه من فهم السامع وايضاحه له فتشبه الادنى بالاعلى اذا أردت مدحه وتشبه الاعلى بالادنى اذا أردت ذمه فتقول فى المدح تراب كالمسك وحصى كالياقوت وما أشبه ذلك فاذا أردت الذم قلت مسكا كالتراب وياقوتا كالحصى وما أشبه ذلك انتهى أقول ومن هذا النوع الذى هو تشبيه الاعلى بالادنى قول ابن الرومى فى هجو الورد وما أحسنه

يا مادح الورد لا ينفك عن غلطه * الست تبصره فى كف ملتقطه
كأنه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

أقول انظر هذا الرجل الذى قد افتتن وقبح الجد وتجاوز الحد وهجا الورد فهو وان كان قد أصاب فى التشبيه تحقيقا فقد أخطأ فى اصابته ومن البر ما يكون عقوقا على انه لم يأت فى فعله شيأ فريا وانما هجا الورد لانه كان جعليا ومن تأذى من شئ ذمه وسب أباه وأمه قولى لانه كان جعليا هو نسبة الى الجعل وهو نوع من الخنافس قيل ان الخنافس اذا دفنت فى الورد تكاد تموت لانها تتأذى برائحته واذا دفنت فى الزبل رجعت نفسها اليها وابن الرومى كان يتأذى برائحة الورد وفى كتب الطب ان شم الورد يهيج العطاس لمن دماغه بارد وشمه نافع لاصحاب المرة الصفراوية أومن به حرارة سكن الصداع المتولد منها ومن حرارة الدم وليس فى الادوية المفردة ما فيه قوتان غيره لان فيه قوة مسهلة وقوة قابضة وذكر جالينوس فى الافسنتين مثل ذلك وهو بارد يابس فى آخر الثانية واذا ربى بالعسل نفع الحميات الباردة وازال البلغم من المعدة واذا ربى بالسكر كان فعله دون ذلك وكان ابن الجوزى يهجو الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير
يقول هذا مجاج النحل يمدحه * وان يعب قال ذا قئ الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

(وقال ابن المعتز يرد على ابن الرومى فى هجو الورد فلله دره)

ياهاجي الورد لاحييت من رجل * غلطت والمرء لا يؤتى على غلطه
هل تنبت الارض شيأ من أزاهرها * اذا تحلت بحلى الوشى من نمطه
أحلى وأشهر من ورد له أرج * كأنما المسك مذرور على وسطه
كأنه لون حبي حين ملكني * حل السراويل بعد البعد من سخطه

(ثالثها) حكى عن أبي نواس رحمه الله تعالى انه رؤى بعد موته في المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك قال غفر لي وادخلني الجنة بابيات قلتها في النرجس وهى هذه

تأمل في رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * باحداق هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك
وان محمدا عبدا رسولا * الى الثقلين أرسله المليك

أقول على ذكر المنام والنرجس حكى المرزباني عن ابن دريد انه رأى في المنام رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل عليه وأخذ بعضادتى الباب وقال أنشدني أحسن ماقلته في الخمر فقلت ماترك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا ابن ناجية من أهل الشام وأنشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء قبل المزج صفراء بعده ثم قلت بدت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فهلا أخرتها كما فعلت في أول البيت فقال وماهذا التحرير والاستقصاء في هذا الوقت يابغيض ثم انصرف فانتبهت وأنا متعجب مما رأيت (أقول) وفي معنى البيتين المذكورين قول بعضهم يصف تفاحة

وتفاحة من سوسن صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

وعلى ذكر التفاحة رأيت في بعض المجاميع الادبية ماصورته ماتقول السادة

الفضلاء أهل الآداب وهو معرفة الحساب فى مدينة لها (سبعة) أبواب من دخل
من كل منها أخذ نصف ما معه وان بالمدينة رجلا ضعيفا اشتهى تفاحة واحدة
صحيحة فكيف تصل اليه على هذا الحكم المذكور فالجواب عن ذلك انه
يأخذ مائة وثمانية وعشرين تفاحة فيعطى فى الباب الاول أربعا وستين
تفاحة وفى الثانى اثنتين وثلاثين وفى الثالث ست عشرة وفى الرابع ثمانيا
وفى الخامس اربعا وفى السادس اثنتين وفى السابع واحدة ويدخل بالاخرى
للضعيف (رابعها) حكى عن المتوكل انه كان يقول أنا ملك الناس والورد ملك
الرياحين وكل واحد منا اولى بصاحبه وكانت ملوك فارس تأمر برفع الحلوا
أيام الرطب وبرفع الاشنان أيام البطيخ وبرفع الرياحين أيام الورد وقال
اردشير بن بابك الورد در أبيض وياقوت أحمر على كراسى من زبرجد أخضر
يوسطه شذر من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر ومر كسرى
أنوشروان يوما بوردة ساقطة فى الطريق فقال أضاع الله من أضاعك ونزل
عن فرسه فاخذها وقبلها وشرب مكانها (سبعة) أيام ذكر ذلك الزمخشرى
فى ربيع الابرار (خامسها) قال الكواشى فى تفسير قوله تعالى فى قصة
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم
فاعلين لما اجتمع قومه على احراقه حبسوه وجمعوا أصناف الحطب من أقطار
الارض حتى كان المريض يقول ان عافانى الله من مرضى لاجمعن حطبا لحرق
ابراهيم وكذلك المرأة تغزل وتشترى من غزلها حطبا لحرق ابراهيم يفعلون
ذلك احتسابا وتقربا حتى جمعوا جملة عظيمة من الحطب ثم أضرموا النار فى
نواحيه (سبعة) أيام فاشتعلت واشتد وهجها حتى ان الطير لتمر بها فتحترق
فى الجو من شدة وهجها ولم يدروا كيف يلقونه فيها فعرفهم الخبيث ابليس
لعنه الله تعالى عمل المنجنيق ثم عمدوا اليه وشدوا وثاقه ووضعوه فى كفة
المنجنيق فثم قال ابراهيم عليه السلام لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد والملك
لا شريك لك وصاحت السموات والارض ومن فيهما الا الثقلين أى ربنا
خليلك يلقى فى النار وليس فى الارض من يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته

فقال الله عزوجل انه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث بشئ منكم فأغيثوه وانصروه فقد أذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى و بينه فأتاه خازن المياه فقال اذا أذنت أخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل ولما ألقوه آتاه جبريل عليه السلام وقال له ألك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سل الله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى قالوا ولما وقع فى النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار ولم تأكل النار سوى وثاقه فلما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه وأجلسوه على الارض فاذا بعين ماء عذب وروضة تهتز وورد أحمر ونرجس غض وأقام فى ذلك الموضع (سبعة) أيام (سادسها) من غريب ماسمعته عن الورد ما حكاه القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى عن محمد ابن على الانصارى انه رأى فى مدينة نهاوند وردا أصفر فى الوردة ألف ورقة وذكر انه عدها فكانت كذلك قال القاضى شهاب الدين أيضا ورأيت أنا ورقة نصفها أحمر قانئ الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة التى وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم (سابعها) حكى انه كان ببغداد مؤدب اذا لاحت له وردة ينغمس فى لجة قصفه الى أن يمضى زمن الورد وكان ينشد سامحه الله تعالى قوله

ياصاحبى اسقيانى * من قهوة خندريس
على جنينات ورد * يذهبن هم النفوس
ماتنظران فهذا * وقت لحثى الكؤس
فبادر واقبل فوت * لاعطر بعد عروس

أقول وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وأنواره مستنيرة طالما خلع النديم فى أيامها العذار واشرق عليه من أحمره وأبيضه فى لياليه المقمرة شموس واقمار فهو عذر النديم وحياة عظمه الرميم قل من لا افتتن ايام وروده

وزوج ابن غمام بابنة عنقوده ولهذا كان ابراهيم الخواص يسأل الله تعالى فى ايامه الخلاص ويقول اذا جاء الورد أمرضنى على بكثرة من يعصى الله تعالى وقيل ان أعطر الزهور ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد ومن أحسن ماسمعته فى المنثور قول مجير الدين بن تميم

مذعاين المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لايدفع
فتح عيونك فى سواى فانه * عندى قبالة كل عين اصبع

(وقال غيره)

ومذقلت للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهى

وقال مجير الدين بن تميم أيضا رحمه الله تعالى وسامحه

حاذر اصابع من ظلمت فانها * تدعو بقلب فى الدجى مكسور
الورد ما ألقاه فى جمر الغضى * الا الدعا باصابع المنثور

أقول هذه الابيات أصبحت نجوم زهرها فى النجوم وجمعت بين حسن المنثور والمنظوم فهى فى الذروة العليا ومن زهرة الحياة الدنيا قد علتها من النضارة نضرة النعيم ونمت بها بين الادباء محاسن بنى تميم وبتمامها تم الكلام على (السبع) زهرات التى هى نزهة أهل القاهرة ومصر الجميع وريحانة الداعى السميع فهى ريحانة العمر وعذراء ليس لتارك طيب نشرها عذر فهى مما تسلب اب الخليع ويهيم بها كل قائل (امن ريحانة الداعى السميع) وكيف لا وقد اطلعت كل وردة كالدهان وبان بها فضل البان فاقبل عليه الابيض كالبدر فى شروقه وغار منه على أخيه وشقيقه وخلع فيه البنفسج العذار فواعجبا من عاشق احسن من معشوقه

وبدا النرجس الجنى من الهوى * عين مسهدة وقلب يخفق
واحمر وجه الورد حتى قال لى * عرق على عرق ومثلى يعرق
ماكان فضل البان الا انه * ابدا له قدام جيش صنجق
ان كنت بعد الزهر جئت فان لى * كالناصر السلطان جيشا يسبق

ملك جنابه الجنوب تودّ لو * أمست بذيل غبارها تتعلق
ما اشرقت فى مصر أرض مذ غدا * ونداه منه مغرب ومشرق
لازال مخضر الجناب وبيضه * يصفر منهن العدوّ الازرق

ما احمر شفق الاصيل ودب سواد عارضه الاسمر بخده الاسيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب والحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه المختار وعلى آله وصحبه الاخيار ما تعاقب الليل والنهار

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول مصحح دار الطباعة والتمثيل راجيا من الله ستره الجميل

تم بعون الملك المنان طبع كتاب السكردان المنسوب للالمعى البارع ذى الاطلاع الواسع والقلم الذى ما باراه اديب الا أخجله الامام الفاضل ابى العباس أحمد بن أبى حجله بالمطبعة العامره ذات الادوات الباهره المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت الافواه بثنائه وبلغ من كل وصف جميل حد انتهائه حيث نشر ألوية العدل بعد طيها وطهر نفوس رعاياه من جهلها وغيها ومحا ظلم الظلم بسنا صورته القمريه وأثبت مراسم العدل بحسن سيرته العمريه واسبل على أهل مملكته غيوث انعامه واحسانه وشملهم بعظيم رأفته ومزيد حنانه وبسط لهم بساط عدله وحلاهم بحلى جوده وفضله فازرى كرمه بفيض النيل جناب الخديو اسمعيل -

لازال فى عون الاله وحفظه * متمتعا بسروره وبحظه

ولا برحت مصر مشيدة الدعائم وبانجاله مؤيدة العزائم خصوصا بأكبر أنجاله وأرشد أشباله الوزير الشهير والنبيل الاصيل صاحب المعارف

المشهوره والعوارف المشكوره من زادت به روح المروة انتعاشا سعادة محمد توفيق باشا لازالت الايام متعطرة بطيب رياه والليالى منيرة ببدر محياه وكان طبعه اللطيف وتمثيله الظريف مشمولا بادارة مدير المصلحتين المطبعة والكاغدخانة سعادة البيك حسين ونظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم يزل لثمرة ذكائه يجنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى الاسد حضرة أبى العينين افندى أحمد وقد وافق تمام طبعه وكمال تمثيله ونفعه أواسط شهر شعبان المعظم التالى لرجب الاصم من شهور سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف من هجرة من كان كما يرى من الامام يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل منتسب اليه مالاح بدر تمام وفاح مسك ختام

تم



المشهوره والعوارف المشكوره من زادت به روح المروءة انتعاشا سعادة محمد توفيق باشا لازالت الايام متعطرة بطيب رياه والليالى منيرة ببدر محياه وكان طبعه اللطيف وتمثيله الظريف مشمولا بادارة مدير المصلحتين المطبعة والكاغدخانة سعادة البيك حسين وتظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم يزل لثمرة ذكائه يجنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى الاسد حضرة أبى العينين افندى أحمد وقد وافق تمام طبعه وكمال تمثيله ونفعه أواسط شهر شعبان المعظم التالى لرجب الاصم من شهور سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف من هجرة من كان كما يرى من الامام يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل منتسب اليه مالاح بدر تمام وفاح مسك ختام

تم




Princeton University Library
32101 077781373